

المملكة العربية السعودية

# مِزَافُ الْحَجَّاجِ

والخدمات المدنية للحجاج

## في الأراضي المقدسة

منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

تأليف

الدكتور سليمان عبد الغني مالكجي

الرياض ١٤٠٨ - ١٩٨٧ هـ

٣٨ - مطبوعات دار الملك عبد العزيز





اهداءات ١٩٩٤  
المملكة العربية  
السعودية

# مِرَافِقُ الْحَجِّ

والخدمات المدنية للحجاج

في الأراضي المقدسة

منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

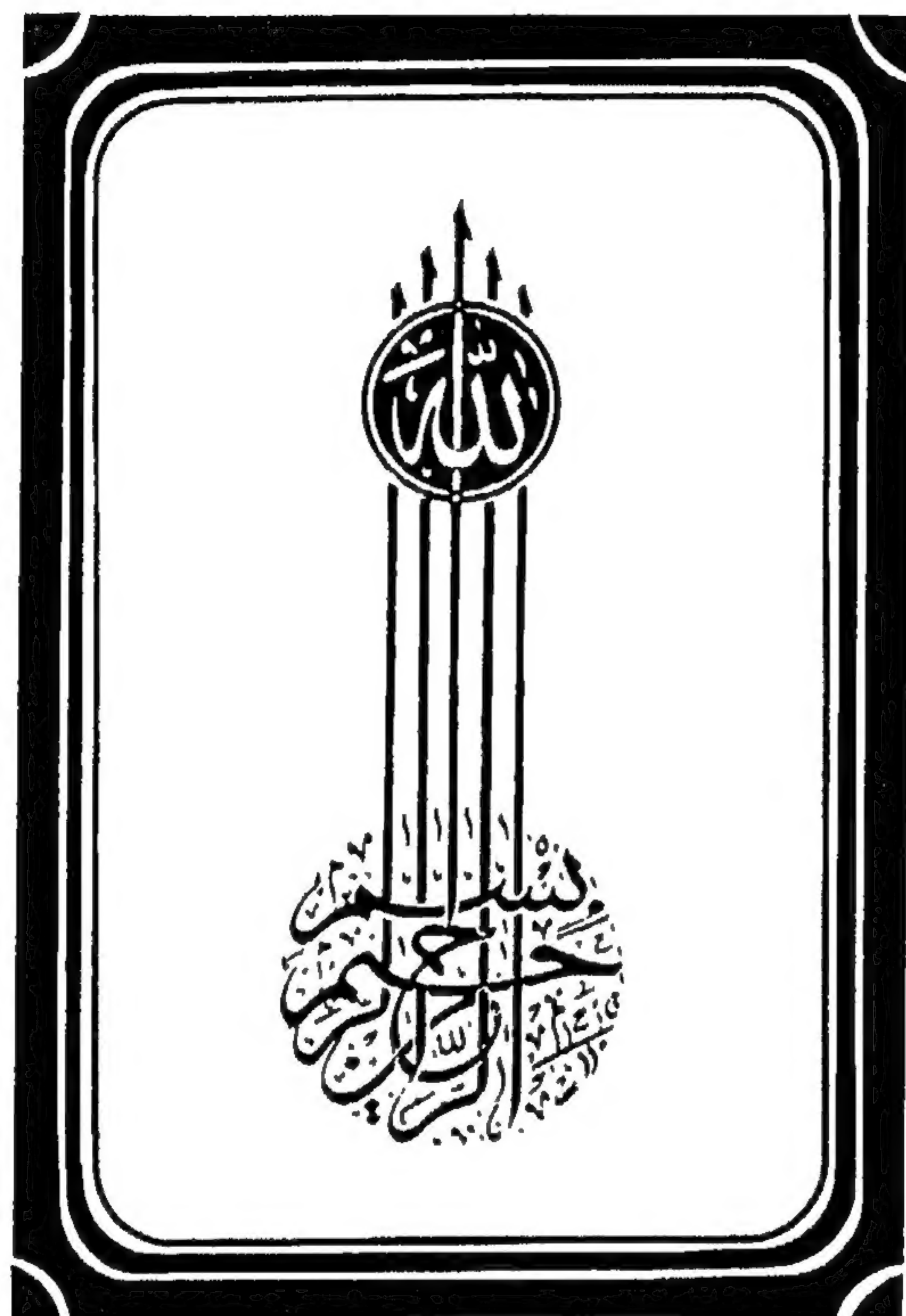
تأليف

الدكتور سليمان عبد الغني مراكبي

الرياض ١٤٠٨-١٩٨٧ هـ

٣٨ - مطبوعات دار الملك عبد العزيز







## اهـاء

اهءى ءلاصة هءا الكءاب الى روء والءى اعءرافاً وءقءيراً على ءسن صنعءه  
معى ءربية وءعلماً وسلوكاً. . .  
فإليه يرجع الفضل الكبر بعء الله فى اسءمرار مراحلى ءءللمية ءءصيلاً وءراسء  
ءءى فاضء روءه الغالية إلى بارءها. . .  
أسأل الله سبءانه أن ىءغمءه بواءع فضله وأن ىءوطه بشأبيب رءمءه وىسكنه  
فسبء ءنائه. . .

«ء. سلبان عبءالغنى مالكى»





## تقديم

الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على رسوله الأمين . . وبعد، فلقد شرف الله الكعبة، وجعلها بيته الحرام . . بيتا آمنا تهوى إليه الأفئدة من كل فج و صوب . . منذ رفع قواعده الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . . وعلا صوت الخليل مناديا الناس بالحج . . وقد هيا الله لها من خلقه من وقفوا أنفسهم على خدمتها . . وخدمة الوافدين إليها . . واعتبروا آداءهم لهذه الخدمة شرفا ما بعده شرف . . وتلك من أعظم وأجل حكم الله، ولطفه بخلقه . . تُرى ماذا كان يحدث لو اجتمع الناس في مكان قاحل . . ليس به ماء ولا زرع ولا ضرع . . وفي زمن معين . . وكثر عددهم حتى ضاق بهم المكان . . على اتساعه . . وشح الماء ونذر الطعام . . ولفحتهم الشمس وقت الهجير . . حتى زاغت الأبصار من شدة الظمأ . .؟! . . لا ريب - والحال هذه - أنه لن يحدث غير الهلاك والموت المحقق . . لضيوف أقبلوا من كل فج عميق . . وإذا كان مآل الضيافة هكذا . . فهل يمكن أن يقال إنه بيت آمن . . سبحانه ربي ما أطفك بعبيدك !! . . وما أكرمك حين هيأت لهذا البيت، وللوافدين عليه . . من يقومون بخدمته . . وخدمة ضيوف الرحمن . . بل اعتبر ذلك من أشرف الأعمال لدى ذوى الهمم العالية . .

وتاريخ هذه الخدمات، يبدأ من قصي بن كلاب . . الجد الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم . . والذي يعتبر أول من وضع أسس تلك الخدمات ممثلة في الحجابة، والسقاية والسدانة، والرفادة، بالإضافة إلى اللواء، والندوة، وقد توارثها أبناؤه من بعده، حتى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم . . فأبقى على الحجابة والسقاية والسدانة . . وألغى ما عدا ذلك من خدمات، اكتفاء بما يقدم من لحوم الأضاحي والهدي . .



ولقد تبارى حكام المسلمين في توفير الخدمات للحجاج من مأكل، ومشرب، ومسكن، وإحلال وسائل الأمن.. خلال تنقلاتهم فيما بين الأماكن المقدسة، إلى عودتهم لبلادهم آمنين..

ولا شك أن تسليط الأضواء على ذلك من خلال هذه الدراسة التي قام بها الأخ الدكتور سليمان عبدالغني مالكي.. لموضوع «مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي الإسلامية المقدسة.. منذ السنة الثامنة حتى سقوط الخلافة العباسية» عام ٦٥٦هـ.. لأمر مهم، إذ الموضوع طريف في بابه، حيث لم تفرد له دراسة خاصة به من قبل، ولأن التاريخ لتلك الأماكن، وحصر تلك الخدمات، ومعرفة أنواعها وأحجامها ووسائلها وتطورها في كل عهد وعصر، هو أمر ذو أهمية، لمعرفة كيفية استمرار تلك الخدمات بعد مجيء الإسلام.. ومدى اهتمام حكام المسلمين بها.. وبرعاية الأماكن المقدسة، وتوفير الأمن لحجاج بيت الله.. وتوفير المأكل، والمشرب، والإقامة وغير ذلك من خدمات..

وسندرك على ضوء تلك الدراسة مدى الجهد، ومدى ضخامة الخدمات التي قدمت وتقدم لضيوف الرحمن في عهدنا الحاضر الميمون.. ومدى الاهتمام والعناية الفائقة بالحرمين الشريفين.. والأماكن المقدسة، من توسيعات متتالية، وإنشاءات للمرافق هائلة، ولسنا في مجال عقد مقارنة.. بين ما قدم ويقدم.. أو بين ماض، وحاضر، فحاشا لله أن نتناول على أسلافنا.. الذين نعتز بهم ونفخر، مهما شمخت الأعمال في الوقت الحاضر لخدمة الحرمين الشريفين.. وخدمة ضيوف الرحمن وما نملك إلا أن نحمد الله ونشكره على أن وفق ولاية الأمر إليه، وهياً لهم أسبابه، كما ندعو الله لذوى الهمم العالية، حكام هذه البلاد، بالمغفرة والرحمة لمن رحل عن الدنيا وبالعز والتوفيق لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد وولي عهده.. فقد دأبوا جميعهم على تقديم هذا العطاء.. دون ملل، وجعلوا من اتصافهم بأنهم خدام بيت الله الحرام مصدر عز وفخر.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..







حمدا لمن جعل مكة مهوى أفئدة المؤمنين ، تحقيقا لدعوة إبراهيم وشرفها بمبعث خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم - وبعد فهذا البحث يتناول المرافق والخدمات المدنية التي قدمت للحجاج في الأراضى الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ ، وهى حقبة زمنية تمتد الى ما يقرب من ستمائة وثمانية وأربعين عاما .

ويرجع اختيارى لهذا الموضوع ، ومحاولتى القاء الضوء على جميع جوانبه المختلفة الى أن أغلب المؤرخين الذين أرخوا للدولة الإسلامية لم يتعرضوا بشئ من التفصيل لتاريخ هذه المرافق والخدمات ، وأهميتها بالنسبة للحج والأماكن المقدسة ، فقد اقتصروا على الإشارة لهذا الموضوع إشارات وجيزة في ثنايا حديثهم عن الأمور السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة الإسلامية وندرة الحديث على هذا النحو عن مرافق الحج وخدمات الحجاج في الأماكن المقدسة جعلنى أجد صعوبة بالغة في جمع شتات مادتي العلمية ، كما جعلنى التزم الدقة والحذر في قراءة النصوص القليلة الواردة في هذه المصادر حتى أتمكن التقاط حقيقة شاردة أو استخلاص أية حقائق تتصل بهذا الموضوع تكون قد وردت على لسان المؤرخين في حديثهم عن شتى أمور الدولة الإسلامية .

فالباحث في موضوع خدمات الحجاج ومرافق الحج يجد لزاما عليه أن يسير بتعمق في أعماق المصادر مستخرجا النصوص ، دارسا إياها ومتتبعا لها من بدايتها إلى نهايتها كى يستطيع أن يعرف النص الصادق فيأخذه من بين كثير ركام وطويل كلام ، مبعثرا



ومشتتا ما بين مصادر التاريخ الإسلامي العام ومصادر تاريخ مصر ومصادر تاريخ اليمن .

وفي هذا البحث الشاق وراء المادة العلمية للموضوع كان على أن أتبع مرافق الحج والخدمات التي كانت تقدم الى الحجاج وكذلك العوامل المختلفة التي كانت تدفع الخلفاء وأمراء الحج والسلاطين إلى العناية بهذه المرافق وتقديم هذه الخدمات للحجاج .

ونظرا لارتباط الموضوع بالحج إلى الأماكن المقدسة منذ العصر الجاهلي، لهذا اضطررت إلى تقسيم هذا الموضوع إلى أربعة فصول .

خصصت الفصل الأول للحديث عن مكة والمدينة في العصر الجاهلي وأهمية هاتين المدينتين اللتين لعبتا دورا مهماً في هذه الحقبة الزمنية، وقد ركزت على أهم الخدمات التي قدمت في العصر الجاهلي في مدينة مكة المكرمة، وبالذات تنظيمات قصي بن كلاب وأهمها السقاية والرفادة والحجابة . وحيث أن مكة تقع في واد غير ذي زرع، وليس لها موارد مائية، لذا اضطررت إلى الكتابة عن التكوين الجيولوجي لمكة وأوضحت دور القرشيين وما بذلوه من جهود مكثفة في البحث عن مصادر المياه من أجل امداد أنفسهم والحجاج بالماء، ولما كانوا قد استخدموا جميع المصادر المتاحة في هذا الصدد ساقني الحديث عن الدراسات الحديثة لتوفير المياه في مكة المكرمة، وبينت أن الدراسات الحديثة لم تأت بشيء جديد عما أتوا به .

ثم تحدثت عن الناحية الاقتصادية ولما لها من أهمية ودور القرشيين في إحياء الأسواق المختلفة لتوفير الغذاء لهم وللحجاج الوافدين إلى مكة .

ولأهمية موقع المدينة فإنني تحدثت عن الناحية الجغرافية لها، ثم أوضحت الدور الزراعي والاقتصادي الذي قامت به في العصر الجاهلي، وأخيرا تحدثت عن طرق التجارة وتجارة المدينة الداخلية والخارجية .

وأما الفصل الثاني، فقد خصصته للحديث عن مرافق الحج في مكة المكرمة



والمشاعر وما قدم فيها للحجاج من خدمات وبينت أن أهم هذه الخدمات التي كانت تقدم ولا زالت تقدم للحجاج في مكة وفي مشاعر الحج هي توفير المياه لهم أثناء موسم الحج من الآبار والعيون، ومن المعلوم أن هذا الأمر ليس ميسورا بالذات في مكة المكرمة التي يعتبر الزرع فيها والماء شحيحين، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ . . . . . الآية ﴾ .

وهذا ما جعل الخلفاء يهتمون بتوفير الماء في مكة وجلبه من أماكن خارج حدود الحرم. لم يقتصر هذا الأمر على الخلفاء، بل إن بعض القبائل العربية التي سكنت مكة كان لها دورها في حفر الآبار وزيادة عددها.

ومن المعلوم أن نظام العيون لم يبدأ الاهتمام به إلا زمن معاوية بن أبي سفيان الذي اهتم بتوفير المياه عن طريق عين الأرين، ومن بعده أهتم الخليفة هارون الرشيد بإيصال ماء عين الرشا إلى مكة، وفي سنة ١٩٣ هـ قامت زوجة هارون الرشيد «زبيدة» بأعظم عمل في سقاية الحجاج وأهل مكة وذلك بإيصال ماء عين حنين إلى مكة وبإيصال ماء عين وادي النعمان لمشاعر الحج عن طريق القنوات التي كانت تصب في مجمعات محفورة لتخزين المياه وتوفيره لسقاية أهل مكة والحجاج معا. ويعتبر هذا العمل من أهم المشروعات التي ساعدت على توفير المياه في مكة وفي مشاعر الحج.

هذا ومن الملاحظ أنه حتى عصرنا الحالي لم يستجد في مكة ولا في المشاعر أية آبار أو عيون غير تلك التي عرفت منذ العصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي.

ومن المعروف أن الحجاج يقيمون في مكة فترة طويلة لأداء نسكهم فقد كانوا يقيمون في صدر الإسلام حتى بداية القرن الخامس الهجري في الدور الخاصة بأهل مكة، ولما كثر عددهم منذ بداية ذلك القرن وضافت بهم دور مكة بدأ اهتمام الخلفاء والأمراء والتجار ببناء دور وأربطة خاصة لسكن الغرباء والمنقطعين في مكة على أن تخصص هذه الدور والأربطة لسكن الحجاج في مكة فترة الموسم.



ومنذ بداية إنشاء المدارس في الأمصار الإسلامية على غرار المدرسة النظامية في بغداد أنشئت المدارس في مكة وعلى الأخص حول المسجد الحرام ، وكان لها دور في إسكان الحجاج فترة الموسم ، إذ أن جزءا منها خصص لنزول ضيوف وإلى مكة وامراء الحج .

أما مشكلة توفير الأطعمة في مكة فكانت ضمن المشكلات الرئيسية التي واجهت الخلفاء إذ أن مكة كما هو معلوم تقع في واد غير ذى زرع ، فهي تعتمد على الأودية المحيطة بها مثل وادى مر ، والطائف ووادى نعيان ، فقد وفرت هذه المناطق الأطعمة لسكان مكة والوافدين إليها من الحجاج ، كما أسهمت أمصار الدولة الإسلامية وعلى الأخص مصر في جلب الحبوب والأطعمة إلى مكة المكرمة ، فلقد قدمت مصر أعطيائها إلى مكة منذ بداية الفتح الإسلامي لها .

ونخصت الفصل الثالث للحديث عن أمكنة المشاعر ودور سكان مكة في توفير الإقامة للحجاج بها فترة أداء نسك الحج ، ولذلك اعتنى الخلفاء والأمراء بتوفير الأطعمة والمياه لهم هناك ، كما تحدثت عن أعطيات الخلفاء لولاية مكة والأحداث السياسية التي وقعت في مكة وفي أمكنة المشاعر والتي كانت صدى للتنافس بين خلفاء العباسيين والفاطميين ومن بعدهم سلاطين الأيوبيين وسلاطين الرسولين على سيادة الأماكن المقدسة وعلى إخضاع أشراف مكة لسلطانهم .

وقد خصصت الفصل الرابع للتحدث عن المرافق والخدمات التي كانت تقدم لزوار المدينة المنورة من الحجاج وتوفير المياه والمسكن والمأكل لهم أثناء الزيارة .

وبدأت هذا الفصل بالحديث عن الطريق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وما أقيم فيه من خدمات للحجاج والطرق الأخرى التي كان يسلكها الحجاج في ذهابهم إلى المدينة قبل توجههم إلى مكة لأداء الحج ، وتحدثت بعد ذلك عن موضوع المياه في المدينة ، وما يتعلق بها من المأكل . فالمدينة تختلف عن مكة من حيث وفرة آبارها وعيونها ، ولذلك تعد بلدا زراعيا ينتج من أنواع التمور والحبوب والخضروات











## أهم المصادر والمراجع في هذا البحث

أما بالنسبة لمصادر هذا البحث، فقد استعنت ببعض المخطوطات وكان من أهمها:

- ١ - الأسدي: أحمد بن محمد (١٠٦٦هـ)  
أخبار المرام بأخبار المسجد الحرام (مكتبة الحرم المكي، رقم ٢٣ تاريخ). وقد أمدني بمعلومات عن بعض المرافق التي أقيمت في مشاعر الحج وبعض أمراء الحج ودورهم في ذلك، وحرص مؤلفه على ذكر أهم الخدمات التي قدمها أمراء الحج للحجاج في مكة المكرمة.
- ٢ - الرشيدى: أحمد  
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج (مكتبة الحرم المكي رقم ١١ تاريخ). وقد حوى معلومات كثيرة عن إمارة الحج وأمراء الحج ودورهم في توفير الأمن للحجاج على طوال طرق الحج المختلفة، مع ذكر بعض الحوادث التي وقعت في هذه الطرق.
- ٣ - الصباغ: محمد بن أحمد (ت: ١٣٢١هـ)  
تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام (مكتبة الحرم المكي، رقم ٤٨ تاريخ). الذي أفادني في معرفة الأربطة التي سكنها الحجاج كما أمدني بتراجم لبعض الرجال الذين عاشوا في هذه الأربطة ودور حلقات العلم فيها.
- ٤ - ابن الضياء (ت ٨٥٤هـ)  
تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة المنورة (دار الكتب المصرية، رقم



١٥٧٠ تاريخ). الذى تحدث عن أهم الأحداث التى وقعت في مكة فترة حكم الأشراف، وما حدث بين بعض أشراف مكة وأشراف المدينة من اختلافات كما تعرض لبعض الأحوال السياسية في أواخر العصر العباسي.

٥ - ابن فهد (ت ٨٨٥هـ)

إتحاف الورى بأخبار أم القرى، أربعة أجزاء (مكتبة الحرم المكي رقم ٩٢ تاريخ). وقد اهتم بذكر الحوادث التى وقعت في مكة حين سيطر الرسوليون عليها. وقد رتب كتابه بالسنوات، واهتم بذكر المدارس التى كان لها دور في التعليم بالحجاز.

٦ - المالكي: على بن عامر المالكي (ت ١٠٤٧هـ)

الشافي الصغير: مكتبة آل المالكي وهى لورثة أبناء محمد جمال مالكي بمكة المكرمة، وقد وصف الطريق التى كان يسلكها الحجاج في مكة المكرمة الى مشاعر الحج واهتم بذكر مناسك الحج.

أما المصادر القديمة المطبوعة فيأتى في مقدمتها:

٧ - ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر.

قدم لى هذا الكتاب مادة وفيرة فيما يختص بعلاقة الخلافة الفاطمية بأمراء مكة والمدينة وما دور هذه العلاقة بالنسبة للخلافة العباسية.

٨ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ

وقد رتب المؤرخ كتابه حسب السنين، وقد وضح في بعض هذه السنين الأحداث التى تعرض لها الحجاج في طريقهم إلى مكة، وقد أمدنا بمعلومات عن اصلاحات الخلفاء في طرق الحج.

٩ - ابوالمحاسن: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة

وقد رتب كتابه حسب السنين، ويعتبر هذا الكتاب مصدراً من أهم المصادر



بالنسبة للعلاقات بين مصر والحجاز فترة حكم الخلافة الفاطمية . وفي فترة خلافة أمراء الحجاز بالدولة الأيوبية .

١٠ - الجزيري : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .  
يعتبر من أهم المصادر التي اهتمت بذكر طرق الحج مع ذكر الحوادث التي حدثت في هذه الطرق ، كما وأنه ذكر بعض أمراء الحج وأوضح شروط إمارة الحج وواجباتها .

١١ - السمهودي : وفاء الوفاء بأخبار مدينة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .  
وقد أورد السمهودي أهم الخدمات التي قدمت للحجاج في المدينة المنورة في فترة خلافة الدولة الأموية والعباسية . كما تحدث عن هذه المرافق في المدينة وعن أماكنها .

١٢ - ياقوت : معجم البلدان  
وصف لنا ياقوت المدن والأماكن التي تقع على طول طريق الحج ، كما أمدنا بمعلومات عن القبائل التي تسكن في هذه الطرق .

١٣ - الاصطخرى : مسالك الممالك  
ولقد أفادنا كتابه فائدة كبيرة في معرفة موقع مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كما أهتم بالوصف بالنسبة لسطحها وأوديتها وطبيعة هاتين المدينتين .

١٤ - ابن جبير : الرحلة  
وهو ذو فائدة كبيرة في وصف طريق الحج عن طريق ميناء عيذاب والصعوبات التي كانت تواجه الحجاج في طريقهم ، هذا فضلا عن أنه تطرق للناحية السياسية في ولاية مكة المكرمة .

١٥ - ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار  
لقد أهتم ابن بطوطة بذكر المدارس التي كانت حول الحرم المكي ، وكانت موجودة في عهده ، وقد عرفنا منه الشيء الكثير عن هذه المدارس ، ودور العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها .



١٦ - المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم  
وصف لنا وضع الحجاز الاجتماعي في أواخر العصر العباسى والنواحي  
السياسية التى لعبت هذا الدور في حكم اسرات الأشراف .

أما بالنسبة للمراجع الحديثة فيأتى في مقدمتها

١٧ - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين  
وقد أفادنا في معرفة بعض النواحي الاجتماعية التى شاهدها أثناء قيامه بإمارة  
الحج ، كما أمدنا بالكثير من المعلومات التاريخية عن الحج وما يتصل به من  
أحداث سياسية في العصر الإسلامى .

١٨ - احمد السباعى : تاريخ مكة المكرمة  
تناول في كتابه النواحي الاجتماعية في مكة ، وأوضح الدور السياسى لولاة مكة  
منذ أن بدأ حكم أسرة الأشراف الحسنية على مدى علاقتهم بالخلافة العباسية  
والفاطمية .

١٩ - يوسف أحمد : المحمل والحج  
لقد تناول هذا الكتاب معرفة أهم مرافق الحج والخدمات التى قدمت  
للحجاج في مكة المكرمة .

٢٠ - عبدالقدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة  
تحدث الأنصارى عن أهم الدور والأربطة التى أقيمت في المدينة لتكون سكنا  
للحجاج ، كما أهتم بذكر العيون ، وأهمها عين الزرقاء وأوضح أهميتها بالنسبة  
لتوفير المياه في المدينة والاصلاحات التى طرأت عليها .

٢١ - أحمد ابراهيم الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية في القرن الأول  
الهجرى .

أهتم المؤلف في هذا الكتاب بذكر الدور السياسى الذى لعبته المدينة المنورة في



حياة الدولة الإسلامية منذ نشأة حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودور الحياة السياسية في حكم البيت الأموي .

هذا وقد حفلت الدوريات العربية بأبحاث ومقالات علمية أثارت كثيرا من غوامض الموضوع ، ومن أهم هذه الدوريات .

مجلة الفيصل ، مجلة رابطة العالم الإسلامي ، ومجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

وبفضل هذه المصادر والمراجع التاريخية ، وبقدر ما توفرت فيها من مادة ، أمكننا دراسة هذا الموضوع وجمع شتاته في الفصول المشار إليها سابقا .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الدكتور أحمد السيد دراج الذي تولى الاشراف على هذا البحث وتعهده برعايته وتوجيهه ، منذ أن كان فكرة حتى صار حقيقة ، كما أشكر أساتذتي الذين شاركوا في قراءة هذا البحث وتحملوا مشقة مناقشته .

وأسأل الله التوفيق ، ، ، ، ،









## الفصل الأول

### مكة والمدينة قبيل ظهور الإسلام

#### ١ - مكة المكرمة

نبذة جغرافية عن مكة المكرمة  
نبذة تاريخية عن مكة المكرمة  
سلطة قريش وتنظيمات قصى بن كلاب

#### ٢ - المدينة المنورة

نبذة عن موقع المدينة وجغرافيتها  
النشاط الاقتصادي لسكان المدينة المنورة  
التجارة الداخلية والخارجية وطرق القوافل







## الفصل الأول

### مكة والمدينة قبيل ظهور الإسلام

أولا : مكة المكرمة :

أ - نبذة جغرافية عن مكة المكرمة :

تقع مكة في الجزء الشرقي من تهامة حيث توجد أودية عديدة تنساب من المرتفعات الحجازية التي تتفرع منها سلاسل جبلية (أقل ارتفاعا) كالأصابع ، وتحتل هذه الأودية المساحات المحصورة بين الأصابع الجبلية . ويمكن القول بأن مكة وواديها الذي تقع فيه يحتل وسط الجزء الشرقي من تهامة . فمكة مدينة وديانية قامت أحيائها في وسط وعلى جوانب واديها ويعرف هذا الوادي بوادي ابراهيم عليه السلام . وبعبارة أخرى يخترق وادي ابراهيم مدينة مكة المكرمة من أعلاها إلى أسفلها ، وفي وسط هذا الوادي يوجد المسجد الحرام .

لعل أحسن وصف لمكة المكرمة يلائم الفترة الزمنية التي يتحدث عنها هذا البحث هو الوصف الذي ذكره الجزيري عام ٩٦٠هـ حين يقول : (مكة في واد قد حف به الجبال منها الاخشابان وهما قيقعان وابوقبيس . . والفلق والحجون ، وطولها من العلو الى السفلى وهي من المشرق الى الشمال نحو ميل ، وعرضها من أسفل أجياد الى قيقعان من نحو ثلثي ميل)<sup>(١)</sup> .

وتتمتع حدود مكة المكرمة التي حرمها الله سبحانه وتعالى الى مسافات محددة من جهة المدينة ، وجدة ، واليمن . وفي هذا الصدد يقول الجزيري أيضا : (وحد البقعة التي حرمها الله سبحانه وتعالى من طريق المدينة على ثلاثة أميال ، ومن طريق جدة

(١) الجزيري : درر الفوائد ، ص ٥٧٦٧ .



عشرة أميال، ومن طريق اليمن ستة أميال، وفي جهة كل طريق علم مبنى يتميز به الحرم عن غيره). وقد توارد القول بأن هذه الاعلام من بناء عدنان لما خاف أن تجهل حدود الحرم وهو محيط بمكة المشرفة<sup>(١)</sup>.

وتمر بوسط مكة المكرمة دائرة العرض الشمالي ٢٨ / ٢١°، وخط الطول الشرقي ٥٠ / ٣٩°<sup>(٢)</sup>.

ويعتقد أن مكة تتوسط العالم حيث أنها تعتبر مركز اليابسة في الكرة الأرضية<sup>(٣)</sup>. ويؤكد هذا الاعتقاد حسين كمال الدين وزميله في بحثهما عن اتجاه القبلة، فلقد صمم الباحثان جهازا يساعد على تحديد اتجاه القبلة، وتوصلا إلى معرفة موقع مكة المكرمة في وسط العالم، وبالتالي رسما خريطة حسب أبعاد كل الأماكن عن طريق خطوط الطول ودوائر العرض، وأكدوا بأن مكة تحتل مركز اليابسة في الكرة الأرضية<sup>(٤)</sup>.

### وصف سطح مكة وقلعة المياه فيها :

نظرا لموقع مكة فإن طبيعة سطح مكة منحدر بشكل عام من الشرق الى الغرب، ويضم واديها (وادي ابراهيم) شعاب كثيرة تتجه في انحدارها نحو قلب ووسط الوادي، ولعل هذا النمط من الانحدار يوجد في المناطق المجاورة لمكة المكرمة، حيث أن الجزء الشرقي من تهامة كونه أصابع جبلية متفرعة من جبال الحجاز، والمساحات بين هذه الأصابع الجبلية وديان تصرف المياه المنحدرة عليها.

إن المنطقة الوديانية التي تقع فيها مكة كغيرها من الوديان المجاورة تمثل نطاق

---

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ٥٦٧.

(٢) الخريطة الجيولوجية الجغرافية لشبه الجزيرة ١٩٦٣م. الثروة المعدنية طبعة مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية.

(٣) مجلة أخبار العالم الإسلامي، العدد ٥١٠ بتاريخ ١/١/١٣٩٠هـ / ١٠/١/١٩٧٠م..

(٤) حسين كمال الدين ومحمد الشافعي عبدالمطلب: بحث تحديد مكان القبلة، مجلة الفيصل، العدد الأول، رجب ١٣٩٧هـ، ص ٣٧.

الرواسب الفيضية ، وهذه التى تكونت عبر الصخور الجيولوجية المختلفة خاصة فى عصور القرن الرابع الجيولوجي والذي يدخل فيه العصر الجيولوجي الحديث<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن مجارى الوديان هي مناطق الرواسب الفيضية التى تصل الى اتساعات وأعماق مختلفة حسب طبيعة واتساع الوديات وهذه الرواسب الفيضية تمتاز بصفاتها المسامية التى تعطىها القدرة على تخزين مياه الأمطار. لذا يمكن القول أن الرواسب الفيضية فى وديان مكة وما حولها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمصادر المياه والحياة الاقتصادية. وأن البحث عن الماء الجوفي وحفر الآبار قد ارتبط بهذه الرواسب الفيضية غالبا، بينما تتيح بعض الشقوق الجبلية القريبة من الرواسب الفيضية مخرجا طبيعيا للمياه المتجمعة والمنبثقة من بعض الشقوق الجبلية، وتعرف بالعيون.

إن ارتباط المياه الجوفية فى مكة بالسهول الفيضية ارتباط طبيعى لا يتوافر فى سواها من المدن مثل المدينة المنورة أو أى منطقة تكونها الأودية ذات السهول الفيضية. ويشمل قولنا هذا جميع مناطق الدرع العربى فى غرب شبه الجزيرة العربية. فارتباط مصادر المياه الجوفية بالسهول الفيضية هي سمة من سمات الدرع العربى المكون من الصخور النارية المتحولة، بالإضافة الى الحرات البركانية التى تتصف جميعها بصلابتها وعدم وجود مسام فيها<sup>(٢)</sup>. بينما تتسم السطوح المكونة لكل المناطق الواقعة الى الشرق من الدرع العربى بكونها مناطق رسوبية مسامية تكثر فى بعض أجزائها المياه الجوفية التى تجمعت نتيجة لهطول الأمطار فى العصور الجيولوجية المختلفة خاصة فى الأزمنة المطيرة من العصر الرابع الجيولوجى<sup>(٣)</sup>. إن وفرة المياه فى بعض أجزاء المناطق

(١) Geological Times, British Msueum, 1972, Panel 1 4.

(٢) شروحات الخريطة الجيولوجية لشبه الجزيرة العربية: طبعة ١٩٦٣م وزارة البترول والثروة المعدنية (مصلحة

الساحة الجيولوجية الأمريكية)، مقياس (١ : ٢٠٠٠٠٠٠).

Geukens, F. : Contribution a la Geologie de Yemen.

Mèmpires de l'institute Geologique, De L'Universite

de Louvain , T. XXI, 1960. pp. 2-8.

(٣) Powers, R.W. and others: Geology of the Arabian Peninsula. (Sedimentary Geology of

Saudi Arabia, 560-D 1966, pp. 1-8.



الرسوبية يتمثل في الأحواض الطبيعية في الصخور القاعدية لشبه الجزيرة العربية. وتميل الصخور القاعدية في انحدارها العام من الدرع العربى الى الشرق وهذا هو السبب المباشر في وجود العيون الكثيرة في شرق المملكة العربية السعودية.

وقد ساعد وجود الأحواض الطبيعية - وهي عظمة المساحة والعمق - في الصخور القاعدية على وجود الصخور الرملية والجيرية فيها وهي الخازنة للمياه الجوفية<sup>(١)</sup>. لذا يمكننا القول بأن طبيعة المناطق الرسوبية جعلها أكثر حظاً في تخزين كميات كبيرة من المياه الجوفية، وأن هذه المناطق الرسوبية الفيضية تنحصر في أودية الدرع العربى كما هو الحال في مكة والوديان المجاورة لها.

وقد بحث عن الماء في السهول الفيضية في منطقة مكة المكرمة وتم حفر آبار عديدة فيها في العصر الجاهلى وكذلك في العصر الإسلامى حتى الوقت الحاضر. ففي الوقت الحاضر قامت مصلحة المياه بالمنطقة الغربية بدراسات لمعرفة امكانية تطور مصادر المياه الجوفية في منطقة مكة. ففي هذا الصدد قامت إحدى الشركات الأجنبية بمسح جيولوجى رائع للمنطقة لدراسة معرفة مصادر المياه الجوفية في منطقة جدة - مكة - الطائف - غير أن الدراسة أسفرت عن عدم وجود أى مصادر جديدة يمكن الاستفادة منها<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن أهالى مكة في العصرين الجاهلى والإسلامى قد استنفذوا تماماً جميع امكانيات البحث عن الماء، وهو ما يتمثل فى الآبار والعيون التى سنتحدث عنها فيما بعد.

ولعل عملية تكرير مياه البحر الأحمر هي المصدر الجديد للمياه في الوقت الحاضر وهو ما اتجهت اليه الحكومة السعودية فعلاً. فقد تم بناء أول محطة الى الشمال من جدة وجرى توسعتها لرفع طاقتها الانتاجية من المياه المحلاة وتنوى الحكومة السعودية زيادة توسعتها بشكل عظيم في المستقبل وبناء محطة أخرى ضخمة بالقرب من المحطة

(١) محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ٢، ص ١٣٠ : ص ١٣٦.

(٢) وزارة الزراعة والمياه : تقارير شركة.

السابقة لكى تتوفر المياه وتلبى حاجة مدينة جدة والمدن الأخرى القريبة منها وتغطية حاجة النمو العمراني والصناعي في المنطقة. وليس من المستبعد أن تصل المياه من محطات التحلية بجدة الى مكة في المستقبل القريب. وهذا سوف يساعد على وفرة المياه في مكة والمشاعر خاصة في موسم الحج، مما يؤدي الى راحة حجاج بيت الله. وتنوى الدولة السعودية التوسع في هذا المصدر الجديد للمياه باقامة مزيد من محطات التحلية عاما بعد عام.

### ب - نبذة تاريخية عن مكة المكرمة :

مكة بلد في واد غير ذى زرع، وأول من أتاها ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل وأمه هاجر. أتوا اليها من بلاد الشام بأمر من الله سبحانه وتعالى، وكان جبريل عليه السلام يرشد ابراهيم عليه السلام في طريقه حتى وصل به وبأهله مكان البيت الحرام<sup>(١)</sup>.

ولقد ورد ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم على لسانه :  
﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبعد استقرار ابراهيم عليه السلام بمكة ترك زوجته هاجر وطفلها اسماعيل عليه السلام بها وعاد الى الشام بأمر من الله سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup>. ولقد حاول بعض المؤرخين معرفة الفترة الزمنية لابراهيم عليه السلام بالنسبة لنبي الله عيسى بن مريم عليه السلام. ومن هؤلاء ليونارد ولى Leonard Woolley الذى توصل في بحثه لهذه النقطة في كتابه (ابراهيم Abrahame) الى أن فترة ابراهيم عليه السلام ربما كانت قبل المسيح عليه السلام بألفى عام تقريبا<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) سورة ابراهيم، آية ٣٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٠٥.

(٤) Wooley, L. : Abraham- Recent Discoveries and Hebrew Origins, Faber, 1936, 1, pp. 20.



وسكنت هاجر وطفلها بجوار البيت الحرام ، وبعد أن نفذ ماء هاجر أخذت تسعى بين تلى الصفا والمروة ذهابا وجيئة ، وحين عادت في المرة السابعة وجدت تحت رجل ابنها اسماعيل عليه السلام الماء فحاطته بيدها وصارت تقول : زمي . . . زمي . وسميت زمزم بذلك ، وشربت وسقت ابنها<sup>(١)</sup> .

ولوجود الماء بدأت القبائل العربية تفد إلى مكة أثناء تنقلاتها ورحلاتها ، وكانت هذه القبائل تعطى لأم اسماعيل ما يكفل لها العيش مقابل سقاية الماء لهم<sup>(٢)</sup> . ومن أوائل الوافدين إلى مكة ركب من جرهم كان قادما من الشام وطلبوا من هاجر النزول معها فرحبت بهم ، ثم أرسلوا الى أهلهم يخبرونهم بمكانهم<sup>(٣)</sup> . ويذكر الأزرقى أن بعضا من جرهم سكنوا مع أم اسماعيل عليه السلام ، وكبر اسماعيل بينهم فأعجبوا به وبعد وفاة أمه مكث بينهم ، ولما كبر زوجه جارية منهم<sup>(٤)</sup> .

وكان ابراهيم عليه السلام يحضر الى ابنه اسماعيل عليه السلام في مكة ويسأل عنه . وبعد أن بلغ عمره عشرين عاما ، ويقال ثلاثين عاما حضر والده إليه وطلب منه أن يقوم بمساعدته في بناء الكعبة ، وبعد فراغه من بنائها ، قام بأداء فريضة الحج وفيها حدثت قصة الذبيح<sup>(٥)</sup> .

ويمكننا أن نشير الى ما أجمع عليه كثير من المؤرخين بأن قبيلة جرهم هي أول قبيلة سكنت مكة مع هاجر وابنها اسماعيل عليه السلام<sup>(٦)</sup> ويعتقد بأن قبيلة جرهم يمنية<sup>(٧)</sup> .

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٥) محمد بن احمد الصباغ : تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام ، مكتبة الحرم المكى ، ورقة ٣٨ .

- الفاكهى : المتقى ، ص ٤٧ .

- ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٣٥ .

(٦) ابن هشام : السيرة ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

- المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٥٤ .

- الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٧) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

وبعد مصاهرتهم اسماعيل عليه السلام كثر أبنائوه فيما بعد وسموا بالعرب المستعربة<sup>(١)</sup>. والجدير بالذكر أن خدمة الحرم والمحافظة عليه بقيت في أبناء اسماعيل عليه السلام، ثم آلت من بعدهم الى قبيلة جرهم التي استمرت في تقديم الخدمات للحرم حتى بدأ بعضهم في أعمال غير ملائمة لمكانتهم في الحرم فسلط الله عليهم الجذب وانتشرت الأوبئة بينهم وأخرجهم الله من الحرم<sup>(٢)</sup>. وهكذا لم يبق أى أثر من قبيلة جرهم في مكة سوى بعض الأشخاص الذين بقوا على دين ابراهيم الخليل عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الفاسى أن قبيلة خزاعة طلب النزول مع قبيلة جرهم في الحرم، ويعتقد أن كبير قبيلة جرهم وافقهم على النزول الا أن الباقية رفضوا ذلك مما أدى الى إصرار قبيلة خزاعة على النزول في الحرم، وبذلك بدأ القتال بين القبيلتين الذى استمر ثلاثة أيام<sup>(٤)</sup> أو أكثر من ثلاثين يوما حسبما يذكر الأزرقى<sup>(٥)</sup>.

وقد أسفر هذا القتال عن هزيمة جرهم وخروجها من مكة وانتصار خزاعة التى لم يفلت من يدها الا عدد قليل من الجراهمة الذين لم يدخلوا في القتال<sup>(٦)</sup>. وهكذا حكمت قبيلة خزاعة وهي يمنية أيضا، مكة وولوا عليهم فيما بعد ربيعة بن حارثة بن عمر بن عامر<sup>(٧)</sup>.

ويذكر لنا جيرالد دى جورى Gerald de Gaury ان عام ٢٠٧ م يمثل نهاية حكم قبيلة جرهم على يد قبيلة خزاعة<sup>(٨)</sup> كما يعطينا برسيفال Perceval, A.B. أسماء خمسة من أمراء جرهم من عام ٧٤ ق.م الى عام ٧٦ م بشكل مسلسل وأسماء سبعة آخرين

(١) جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ٢٥.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٧٢.

(٤) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٧٥.

(٥) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٩٦.

(٦) جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١٧.

(٧) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ١٠٥.

(٨) De Gaury, F., Rulers of Mecca, P.



منهم من ٧٦م الى ٢٠٦م<sup>(١)</sup> واعتماداً على هذه القائمة يتضح أن عمرو بن حارث الذي حكم حوالي ١٧٠م هو أمير جرهمى ، ألا أن : ابن خلدون يشير الى أن عمرو بن حارث هو أحد رؤساء قبيلة خزاعة . كما يؤكد أن عمرو بن لحي هو أول رئيس لقبيلة خزاعة وأنه هو الذى أحضر صنم هبل من الشام أو العراق الى مكة<sup>(٢)</sup> .

وبعد أن استتب الأمر لخزاعة جاءهم بنو اسماعيل عليه السلام ، وكانوا على الحياد وقت القتال بين جرهم وخزاعة وطلبوا من خزاعة السكنى معهم فرحبوا بهم<sup>(٣)</sup> . ويذكر لنا الأزرقى والفاسى بعض أقوال زعيم خزاعة لقومه فيذكران أنه قال لهم من وجد منكم جرهمياً قارب الحرم فليهدر دمه . ويروى هذين المؤرخين بأن بعضاً من خزاعة وجدوا إبل مضاض بن عمرو هو جرهمي تقترب من الحرم وحين وصلت وسط الوادى لم يستطع مضاض من دخول الوادى ، لذا صعد الى جبل أبى قبيس ورأى إبله في وسط مكة وقد اعتدى عليها من قبل خزاعة حيث أنهم نحروا إبله<sup>(٤)</sup> . وعاد مضاض بن عمرو الى قومه وأخبرهم بحادثته فغدا قومه يتذكرون ما حال بينهم وبين دخول مكة وبدأ الحزن عليهم . ومنهم من أنشد بعض الأشعار التى آلتهم لفراقهم مكة وبعدهم عنها وفي هذا الصدد يقول أحدهم :

كنا زماناً ملوك الناس قبلهم : بمكة فى حرم الله مسكوناً<sup>(٥)</sup>

وبعد وفاة ربيعة بن حارثة تولى عمرو زعامة خزاعة ، وقد اشتهر بالكرم والجاه . وعمرو هذا هو أول من أطعم الحجاج فى مكة وقدم لهم لحوم الإبل وعمل لهم الشريد<sup>(٦)</sup> . ويعتقد أن عمرو حى الحجاج من اعتداء القبائل خارج مكة ، ووفر لهم الماء بحفر بعض الآبار<sup>(٧)</sup> . كما يذكر لنا الفاسى أن عمرو قام بنصب الأصنام حول

(١) De Perceval, A.P. : Essai sur L'histoire des Arabes, T. III, Paris 1847, 48, P. 95.

(٢) ابن خلدون : العبر، ج ٤ ، ص ٨٠ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٧ .

(٥) الأزرقى : أخبار مكة، ج ١ ، ص ١٠٩ .

(٦) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٧) المسعودى : مروج الذهب، ج ١ . ص ٧٦٥ .

الكعبة، وأن قومه أطاعوه لما قدمه لهم من خدمات<sup>(١)</sup>. ويجدر بنا هنا أن نذكر شعر رجل من جرهم كان بمكة آنئذ وعلم بما فعله عمرو من تغيير دين الحنيفة بنصب الأصنام حول الكعبة، وقال:

يا عمرو لا تظلم بمكة : انها بلد حرام  
سائل بعاد أين هم : وكذلك تحترم الأنام  
وبنى العماليق الذين : لهم بها كان السوام

وبعد معرفة عمرو بذلك أخرج هذا الجرهمي من مكة وبعد خروجه منها أنشد يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة : وأهلى معا بالمازمين حلول  
وهل أرين العيش تنضح في الوري : لها بمنى والمازمين زميل

ويذكر المؤرخون أن ولاية خزاعة استمرت بعد عمرو أكثر من قرنين من الزمان<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى أن أبناء عمرو استمروا أكثر من خمسمائة عام<sup>(٣)</sup>. ويمكن القول أن آخر من تولى من خزاعة هو حليل بن حبشية الخزامي<sup>(٤)</sup>.

### جـ - سلطنة قريش وتنظيمات قصى بن كلاب في مكة المكرمة :

يجمع المؤرخون على أن تاريخ قبيلة قريش أكثر وضوحاً وتفصيلاً من تاريخ قبيلة جرهم وخزاعة اللتين سبقتهما في سكن مكة<sup>(٥)</sup>. ويمكن القول أن تاريخ قبيلة قريش

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٧٠.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ١١٢.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٨٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٠٤.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٠٠.

- ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٤٥.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٨٣.

(٥) جواد على: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١٨ : ٢٢.



يبدأ بقصى بن كلاب الذى تولى ولاية مكة بعد وفاة حليل بن حبشية الخزاعى وهو آخر من تولى ولاية مكة من قبيلة خزاعة .

فلقد تولى قصى بن كلاب ولاية مكة نتيجة لتزوجه ابنة حليل التى أعطاها أبوها مفتاح الكعبة قبيل وفاته، وبذلك تمكن قصى بن كلاب من أخذ مفتاح الكعبة مما أدى الى ثورة نفر من خزاعة، إلا أن قصى والقرشيين انتصروا عليهم، وبهذا انتقلت ولاية مكة الى قصى بن كلاب وأبنائه من بعده<sup>(١)</sup>.

وتعود قبيلة قريش الى كنانة، وكنانة بن عدنان، وتتباين آراء المؤرخين فى تسمية قريش، فمنهم من يقول أن هذه القبيلة سميت قريشا من التقريش وهو الاكتساب، ومنهم من يقول انها سميت قريشا لتجمعها من تفرقها. ويتفق الأزرقى مع الزبيدى فى هذه التسمية<sup>(٢)</sup>، إلا أن الفاكهى يقول بأنهم سمو قريشا لأنهم يتقرشون البضاعات ويشترونها<sup>(٣)</sup>. ويقول صاحب كتاب اللسان أن لها تسميات عديدة<sup>(٤)</sup>. وأن الأرجح هو أن قريشا مأخوذة من القرش نسبة الى حيوان البحر، وفى هذا الصدد يستشهد بالأبيات التى قالها ابن عباس - رضى الله عنه :

قريش هى التى تسكن البحر : بها . سميت قريش قريشا  
تأكل الفت والسمين ولا تتر : ك منه لذي جناحين ريشا<sup>(٥)</sup>  
ويؤكد هذا رأى ابن ظهيرة ويقول أن القرش هو ملك الحيوانات فى البحر وأن قريشاً سادة العرب<sup>(٦)</sup>.

عندما تولى قصى بن كلاب ولاية مكة نازعته قبيلة خزاعة فاستنجد بالقرشيين

(١) النهروالى: الاعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٤٩ .

(٢) الزبيدى: تاج العروس، مادة قريش .

- الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ١٢٣ .

(٣) الفاكهى: المنتقى، ص ٦٥ .

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة قريش .

(٥) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ١٢٥ .

(٦) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٨٢ .

المقيمين في مكة ، وأبناء كنانة وطلب منهم مناصرته ، كما استنجد باخوته من أمه من قبيلة قضاة من أجل نصرته على خزاعة<sup>(١)</sup>.

واستجابت قبيلة قضاة مع اخوته وحضروا الى مكة في موسم الحج ، وبعد الفراغ من الحج طلبت قبيلة قضاة من قبيلة خزاعة أن يتركوا ما وصل اليه قصي بعد وفاة حليل في ولاية مكة ، وحذروهم الظلم والقتال في مكة فرفضت خزاعة أن تسلم له ذلك ، واقتتلوا في مكان سمي بهازمي منى واستمر القتال مدة طويلة حتى بدأت القبائل العربية في التدخل ، وأسفر هذا التدخل عن الاحتكام الى عمرو بن عوف بن كعب بن عامر بن الليث ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، لاشتهاره بين العرب بالمشورة ، فجمعهم بفناء الكعبة وسمع منهم الأقوال وحكم لهم بأن تكون ولاية مكة وحجابة الكعبة لقصي بن كلاب وأن تبقى خزاعة محتفظة برباعها فوافقت خزاعة على ذلك<sup>(٢)</sup>. ويجدر بنا أن نذكر أن قبيلة خزاعة قد طمرت بثر زمزم في فترة حرمها مع قصي<sup>(٣)</sup>.

وبعد استقرار الأمر لقصي أحل للقرشيين بناء بيوتهم في المنطقة المحيطة بفناء الكعبة<sup>(٤)</sup>. ويعتبر هذا الاجراء من قصي أول انتهاك لما كان متعارفا عليه من قبل ، فلقد كانت المنطقة المحيطة بفناء الكعبة يحظر فيها البقاء ليلا والبناء . ولعل جوهرية عمل قصي تتمثل في بعد نظره بأنه وقبيلته حينما يسكنون في بيوت داخل المنطقة المحيطة بفناء الكعبة فانهم يكونون داخل الحرم فيأمنون شر القبائل المعتدية آنذاك . وبذلك انتشرت بيوت قريش في هذه المنطقة ، كما قامت بينها ممرات عديدة يتمكن الحجاج عن طريقها من الوصول الى الكعبة وفنائها<sup>(٥)</sup>.

ويعتبر قصي بن كلاب أول من وضع أسس حكومة مكة وخدمة الحرم والحجاج ،

(١) جواد علي : الفصل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن هشام : المسيرة ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٤) De Gaury, op. cit., P 38

(٥) Ibid., P. 38



وهذه الأسس والخدمات هي : الندوة، واللواء، والحجابة، والرفادة، والسقاية<sup>(١)</sup>.  
وباستمرار ولاية مكة في أبناء قصى بن كلاب استمرت هذه الأسس والخدمات.  
ويمكننا اعتبار الندوة واللواء والحجابة وظائف، بينما تعد السقاية والرفادة من  
الخدمات<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن أهم هذه الوظائف هي الحجابة، والمقصود بها حجابة الكعبة أي  
سدانها فلا يفتح بابها إلا سادنها، وهو الذى يتولى أمر خدمتها. وقد وزع قصى بن  
كلاب قبل وفاته الأعمال بين أبنائه، فكان نصيب بنى عبدالدار سدانة الكعبة واللواء  
والندوة، وقد استمرت هذه الوظائف في أبنائه من بعده، حتى عثمان بن طلحة الذى  
كان سادن الكعبة حينما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة<sup>(٣)</sup>.

هذا ومن المفيد أن نشرح في إيجاز نشأة خدمات الرفادة والسقاية لتعلقها بالحج.  
فقد بدأت الرفادة على يد قصى بن كلاب حينما خطب في القرشيين قائلا : «يامعشر  
قريش إنكم جيران الله وأهل الحرم وإن الحاج ضيف الله وزائر بيته فهو أحق بالكرم،  
فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الموسم ففعلوا ذلك<sup>(٤)</sup>. فكانوا يخرجون من أموالهم كل  
عام خراجا يدفعونه الى قصى بن كلاب فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم في مكة  
ومنى، وأصبحت ضيافة الحاج في مكة من أهم الأعمال التى تنسب الى قصى بن  
كلاب. وتولى هاشم من أبنائه السقاية والرفادة وهى اطعام الحجاج في فترة مكوثهم  
في مكة ومنى فقط<sup>(٥)</sup>.

ولم يصنع القرشيون الطعام للحجاج في يوم عرفة لأنهم كانوا يقفون خارج الحرم،  
وكان العرب يقفون بعرفة<sup>(٦)</sup>. بينما كانت قريش تقف بمفردها داخل الحرم وكانوا  
يسمون بالحمس<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن هشام : السيرة، ج ١، ص ١٢٥.

(٢) محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ٤٢ : ٤٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٦٥. (٤) الأزرقى : أخبار مكة، ج ١، ص ١٣٤.

(٥) جواد على : المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ١٣٥.

(٦) الأزرقى : أخبار مكة، ج ٢، ص ١٣٧.

(٧) الحمس : نسبة الى المتحمسين لدينهم . (الزبيدي : تاج العروس ، مادة حمس).

أما السقاية ، فالمقصود بها سقاية<sup>(١)</sup> الحجاج الماء العذب ، وكان يتم إحضار الماء من الآبار الواقعة خارج الحرم ومن المصانع<sup>(٢)</sup> التى قامت قريش بعملها فى رؤوس الجبال من أجل تجميع مياه الأمطار فيها لسقاية الحجاج . وكانت هذه المياه توضع فى حياض من آدم موزعة حول الكعبة ، وكانوا يضعون فى بعضها التمر والزبيب من أجل سقى الحجاج<sup>(٣)</sup> . ومن الجدير بالذكر أن السقاية فى عهد قصى بن كلاب ، وفى عهد أبنائه من بعده ، لم تعتمد على بئر زمزم حيث أن هذه البئر ظلت مغمورة منذ آخر عهد قبيلة خزاعة كما سبق ذكره .

وعادت السقاية من بئر زمزم فى عهد عبدالمطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى حفر بئر زمزم وعادت الحياض الموزعة حول الكعبة تملأ من ماء زمزم لسقى الحجاج<sup>(٤)</sup> .

وبعد وفاة عبدالمطلب انتقلت السقاية الى ابنه أبى طالب ، ولكن أبا طالب لم يستمر فى السقاية . ويشرح الفاسى سبب عجز أبى طالب عن السقاية ، فقد استدان أبو طالب من أخيه العباس ولم يستطع أن يعيد له الدين ، فطلب من أخيه العباس أن يأخذ السقاية مقابل الدين ، فوافقه على ذلك<sup>(٥)</sup> . وكان العباس مسئولاً عن السقاية حينما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة<sup>(٦)</sup> .

ويمكن القول ان وظيفة الحجابة وخدمتى الرفادة والسقاية من أهم الأعمال التى نظمها قصى بن كلاب واستمرت الى أن فتح الرسول صلى الله عليه وسلم - مكة ، وهكذا يعود الفضل لقصى بن كلاب فى إيجاد هذه الأعمال فى العصر الجاهلى ، ولم

---

(١) السقاية : توليها بعد وفاة قصى ابنه هاشم ، ثم من بعده لعبدالمطلب .

وانظر الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) المصانع : المقصود بها خزانات المياه التى كانت قريش تخزن فيها مياه الأمطار .

انظر : ابن الضيا : تاريخ مكة ، ورقة ١٨ .

(٣) الفاسى : العقد الثمين : ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٤) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٥) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٤ .



تختلف نوعية الخدمات ببیت الله بعد عصر قصی بن كلاب، لأن الحج ظل ممارسا منذ أن فرضه الله على ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام بعد فراغهما من بناء الكعبة. ويعتبر ابراهيم عليه السلام هو أول من أدى مناسك الحج. ويمكننا أن نستشهد بالقرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦ ۝ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧﴾<sup>(١)</sup>.

وإنه من الصعوبة بمكان أن يحدد الباحث الفترة الزمنية التي استمر فيها الحج على دين ابراهيم الحنيف، الا أنه يمكننا القول أن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي شذ بنسك الحج عن دين الحنيفية. ولقد استمر ما أحدثه عمرو بن ربيعة حتى تم للرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة وتطهير الكعبة المشرفة. ومن الواضح أن استمرار الحج بمكة منذ عهد ابراهيم عليه السلام، قد حفظ شأن مكة ولم يفكر أحد في منازعة سلطات مكة سوى حاكم اليمن أبرهة الحبشى الذي أراد هدم البيت الحرام في عام الفيل وهو العام الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنذ فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لمكة أصبح الحج ركنا من أركان الدين الإسلامى. ويعرف الحج في اللغة بالقصد، فيقال حج إلينا فلان أى قصدنا فلان، ولقد استعمل العرب كلمة الحج لمعان كثيرة<sup>(٢)</sup>. والحج شرعا الذهاب الى مكة في وقت معلوم وفي زمن معلوم لأداء النسك التي فرضها الله على المسلمين وإقامة الشعائر كما أداها الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

وبعد فتح مكة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأت صفحة جديدة في تاريخ مكة المكرمة وخدمات الحج بها. فقد ألغى الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الحج، الآية ٢٦، ٢٧.

(٢) الزبيدى: تاج العروس، مادة الحج.

(٣) على بن عامر المالكي: الشافى الصغير، مكتبة آل المالكي بمكة ق ٩٥.

الخدمات الجاهلية عدا الحجابة والسقاية<sup>(١)</sup>. وقد أحضر الرسول صلى الله عليه وسلم، عثمان بن أبي طلحة وأعطاه مفتاح الكعبة وقال له: إن هذه امانة الله أودعها لديكم يأخذها منكم يوم القيامة. وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس فأعطاه السقاية<sup>(٢)</sup>، أما الرفادة فقد استبدلت بالهدى والأضحية التي يقدمها الحجاج كدفوف موسم حج كل عام<sup>(٣)</sup>.

وتم أول حج إسلامي بعد سنة من فتح مكة، أى فى السنة التاسعة من الهجرة، وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق أميراً للحج وأرسل معه على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - من أجل أن يتلو على الناس سورة براءة بالذات على المشركين<sup>(٤)</sup>. وفى يوم عيد الأضحى المبارك وبعد فراغ على بن أبى طالب من قراءة سورة براءة، أعلن للمشركين أن لا يدخل البيت بعد هذا العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى مدته<sup>(٥)</sup>. ولقد أعلنت بقية قبيلة قريش (التي لم تكن دخلت فى الإسلام) إسلامها. وبعد فراغ الحج ذهبت بعض القبائل العربية للمدينة المنورة لتعلن إسلامها للرسول صلى الله عليه وسلم. ويسمى هذا العام بعام الوفود<sup>(٦)</sup>.

وقد ازداد عدد الحجاج من المسلمين من بعد فتح مكة المكرمة وفى الأعوام التالية لعام الوفود<sup>(٧)</sup>. لذا يمكن القول أن الحياة الاقتصادية لمكة وخاصة فى فترة موسم الحج قد زاد ازدهارها. فلقد كانت الحياة الاقتصادية فى مكة فى العصر الجاهلى تعتمد على التبادل التجارى طيلة العام لاسيما أن مكة تقع فى ملتقى الطرق التجارية بين جنوب

(١) ابن هشام: السيرة، جـ ٤، ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢١٢.

(٣) السيوطى: تنوير الخواالك شرح موطأ مالك، جـ ٣، ص ١٠٥.

(٤) ابن هشام: السيرة، جـ ٤، ص ٢٥٥.

(٥) المصدر السابق: جـ ٤، ص ٢٥٦.

(٦) ابن هشام: السيرة، جـ ٤، ص ٢٦٠.

(٧) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب، ص ١٨٦: ٢٠٦.



شبه الجزيرة العربية وشمالها وشرقها<sup>(١)</sup>. كما كان لفترة موسم الحج في الجاهلية أثرها في زيادة التبادل التجاري خاصة في الأسواق العربية الثلاثة، وهي عكاظ، مجنة، ذوالمجاز<sup>(٢)</sup>. وبذلك لم تفقد مكة حيويتها التجارية بل زادت وازدهرت بعد الفتح وبعد عام الوفود وارتبط هذا الازدهار بزيادة عدد الحجاج من المسلمين عاما بعد عام.

ولم تكد هذه الحيوية التجارية المزدهرة مقصورة على مدينة مكة، بل إن الأسواق العربية الثلاثة التي ذكرناها ظلت تمارس نشاطها التجاري أثناء موسم الحج، وفي العصر الإسلامي حتى سنة ١٢٩ هـ تقريبا<sup>(٣)</sup>. ولا شك أن الطرق التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية وخاصة بلاد اليمن وبلاد حضرموت وبين شمال شبه الجزيرة خاصة دمشق ومصر كانت تمر بمكة<sup>(٤)</sup>. وهذا كان له أثره في استمرارية النشاط التجاري بمكة طيلة العام. ويمكننا أن نضيف إلى أهمية موقع مكة أيضا ارتباط الطريق التجاري الشرقي لشبه الجزيرة العربية بها. ولقد كانت هذه الطرق التجارية هي مسلك الحجاج من المسلمين إلى مكة لأداء المناسك تحت لواء أمير الحج.

وقد اقترنت إمارة الحج بالحج منذ أول حج إسلامي في السنة التاسعة من الهجرة. ولعل أعظم واجب ديني يقوم به الإنسان تجاه المجتمع العدل في الإمارة، وغالبا ما تكون الإمارة في شخص لا تتوافر فيه مؤهلات الإمارة، ولكن إمارة الحج لها شروط وواجبات لا بد من مراعاتها والتمشي بموجبها والحرص على سلامة الحجاج في طريقهم لأداء النسك. ولقد استمرت إمارة الحج بعد السنة العاشرة من الهجرة وهي السنة التي حج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع.

ومجدد بنا أن نذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته عرف الناس بأمور

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج ١، ص ١٨٧.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٨٠.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج ١، ص ٢٨٠.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١١٤ : ٦.

دينهم وشرح لهم مناسكهم وخطب خطبة الوداع التى أوفى فيها تعاليم الدين الإسلامى . والأجدر بنا أن نذكر أيضا أن الرسول صلى الله عليه وعليه قد حدد أيام الحج وأن الحج أصبح فى شهر ذى الحجة من كل عام . وفى هذا الصدد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) والمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم أن الحج قد عاد الى ما كان عليه فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وارتبطت إمارة الحج بمقر حاضرة الخلافة الإسلامية، فكان أمير الحج يخرج من المدينة معينا من قبل الخليفة اذا لم يقوم الخليفة نفسه بها . وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وازداد عدد المسلمين الوافدين لأداء الحج فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بعد أن فتحت الشام والعراق ومصر أصبحت القوافل الإسلامية الخارجة من هذه الأمصار قاصدة مكة للحج تنضم تحت لواء أمير الحج من المدينة المنورة . ويجدر بنا الإشارة هنا الى أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أمر فى سنة ١٨ هـ لأول مرة ببناء جدار غير عال حول فناء الكعبة<sup>(٢)</sup>، نظرا لازدياد عدد المسلمين الوافدين لمكة من أجل أداء النسك ولضيق مساحة فناء الكعبة لاقتراب مساكن القرشيين منها.

وبعد انتقال حاضرة الخلافة الى الكوفة فى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه، أصبح أمير الحج من يوليه الخليفة من الكوفة . وبعد انتقال الخلافة إلى البيت الأموى أصبحت حاضرة الدولة الإسلامية دمشق وأصبح أمير الحج يخرج من دمشق معينا من قبل الخليفة الأموى ومعه الكسوة الشريفة والهدايا التى يقدمها الخليفة للحرمين الشريفين . ولما انتقلت الخلافة الى البيت العباسى، أصبحت حاضرة الخلافة الإسلامية بغداد . وأصبح أمير الحج يخرج من بغداد وتتبعه باقى القوافل . وعندما انتقلت الخلافة الفاطمية سنة ٣٥٨ هـ الى مصر استطاعت أن تبسط سلطانها على

(١) الحلبى : السيرة الحلبية، جـ ٢، ص ١٤٥ .

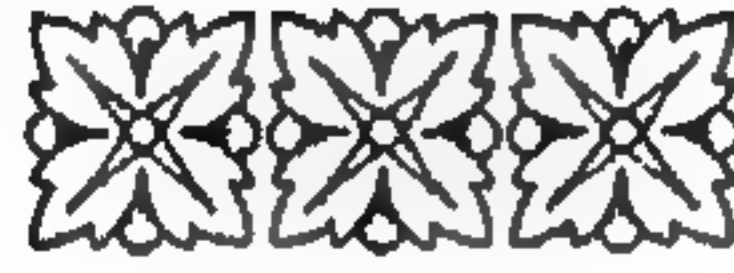
(٢) ابن هشام : السيرة، جـ ٤، ص ٢٦٠ .

- الأزرقى : جـ ١، ص ٨٠ .



الحجاز، وأصبح أمير الحج يخرج من القاهرة من قبل الخليفة الفاطمي<sup>(١)</sup>. ولما قويت الخلافة العباسية مرة ثانية تمكنت من استعادة نفوذها على الحجاز فعاد أمير الحج يعين من بغداد<sup>(٢)</sup>، واستمر ذلك حتى نهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ<sup>(٣)</sup>.

وهكذا ارتبطت إمارة الحج بالحج، وأصبح خلفاء الدولة الإسلامية يهتمون بتقديم الخدمات للحجاج من أجل راحتهم وتأمين السلامة لهم في طرق الحج المؤدية الى مكة المكرمة والمدينة المنورة.



- 
- (١) الجزيري: درر الفوائد، ص ١٨٩.  
(٢) الجزيري: درر الفوائد، ص ١٩٠.  
(٣) أبوالفداء: المختصر، ج ٣، ص ٤٢.

## ثانيا : المدينة المنورة :

### أ - نبذة جغرافية عن المدينة المنورة :

تقع المدينة المنورة شمال مكة المكرمة وتبعد عنها بثلاثمائة ميل تقريبا ، وموقعها هذا يجعلها ضمن منطقة السلسلة الجبلية للدرع العربى . ولقد ذكر ياقوت أن المدينة حجازية<sup>(١)</sup> . فهي بعيدة عن منطقة سهل تهامة وتجاورها بعض الحرات لوقوعها ضمن المنطقة الجبلية . فالمدينة المنورة تنحصر بين لابتين بركانيتين تعرفان بالحرتين ، حرة واقم فى الشرق ، وحرة الوبرة فى الغرب ، كما يقع جبل عير فى الجنوب الغربى منها<sup>(٢)</sup> .

ويضيف الأصطخرى معتمدا على ياقوت أن القائم بأعلى جبل عير يرى وادى العقيق الى يساره ممتدا غربى المدينة فيما وراء حرة الوبرة الى ما بعد بئر روت من شمالها الغربى . ويرى العريض وعوالى المدينة الى يمينه من شرق حرة واقم ، بينما يجد جبل أحد وجبل سلع شمال المدينة المنورة وقرية قباء على بعد ميلين جنوبها<sup>(٣)</sup> .

وتخترق منطقة المدينة المنورة عدة أودية حيث أنها تكتنف حرة واقم وحرة الوبرة . ومن أهم هذه الأودية ، وادى بطحان ، ووادى رانواء حيث يجريان فى جنوب المدينة ويتجهان شمالا ويلتقيان بوادى قناة الماء فى شمالها<sup>(٤)</sup> ويمكن القول أن ملتقى هذه الأودية هى منطقة رومة وزعابة فى شمال غربى المدينة المنورة حيث ينتهى وادى العقيق ، وحيث تلتقى الأودية التى أشرنا إليها . ويمكننا أيضا أن نصف انحدار الأودية فى منطقة المدينة المنورة بأنها تنحدر من الشرق والجنوب فى اتجاه شمال غربى المدينة المنورة .

هذا وموقع المدينة المنورة إلى الشمال من مدار السرطان جعلها ألطف مناخا من مكة

(١) ياقوت : معجم ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩ .

(٣) الأصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٢٣ .

(٤) أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٨٧ .



المكرمة التى تقع الى الجنوب من مدار السرطان . وتخترق المدينة المنورة دائرة العرض الشمالى ٣٠ و ٢٤ درجة ، وخط الطول الشرقى ٤٥ و ٣٩ درجة<sup>(١)</sup> . ويعد تعارض درجات دوائر العرض بين مكة والمدينة المنورة بثلاثة درجات عاملاً مهماً فى تلطيف مناخها .

### وصف سطح المدينة المنورة ووفرة المياه فيها :

إن اتجاه انحدار الأودية فى منطقة المدينة المنورة يبرز انحدار السطح للمدينة المنورة بشكل عام . فسطح المدينة المنورة ينحدر من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ، وكان لتعدد الأودية الجارية على هذا السطح أثره فى غزارة مياه المدينة المنورة . ولقد اقترنت غزارة المياه فى منطقة المدينة المنورة بجودة تربتها التى تكونت عن طريق هذه الأودية المختلفة وما جرفته من رواسب فيضية الى منطقة محاطة بالحرار من الشرق والغرب وبجبال غير بركانية من الشمال والجنوب . ولقد دعت طبيعة سطح المدينة المنورة كثيراً من المؤرخين والجغرافيين الى وصفها بواحة خصبة التربة غزيرة المياه<sup>(٢)</sup> . فغزارة المياه فى المدينة المنورة لا ينحصر فى المياه الجارية على سطح الأودية نتيجة لهطول الأمطار وإنما تنضم اليها غزارة المياه الجوفية المعتمدة على مياه السيول . ودعا هذا سكان المدينة الى التركيز على المياه الجوفية والاستفادة منها ، فأكثرُوا من حفر الآبار فى المناطق الزراعية وفى الدور من أجل سقيهم . وبالإضافة إلى الآبار، توجد بعض العيون التى تكونت عن انبثاق المياه من الشقوق الصخرية أو نبعها من خلالها .

### ب - النشاط الاقتصادى لأهل المدينة المنورة :

إن النشاط الاقتصادى فى المدينة المنورة متعدد العناصر إلا أن العنصر الرئيسى يتمثل

(١) الخريطة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ١٩٦٣م ، الثروة المعدنية طبعة مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية .

(٢) ياقوت : معجم ، ج ٥ ، ص ٨٠ - ٨٥ .

- الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٢٣ - ٢٥ .

- أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

فى النشاط الزراعى ، وذلك لوفرة المياه وخصب التربة ، ولعل سكان المدينة المنورة الأوائل بدأوا نشاطهم الاقتصادى بالزراعة . إلا أن النشاط الاقتصادى للسكان الأوائل فى المدينة المنورة غير واضح ، وذلك لعدم وجود كتب تاريخية عنهم .

ويذكر أن اسم يثرب قد ذكر فى الكتابات المعينية واستنتج من هذا أن المعينين ربما استعمروها حيث كانت لهم مستعمرات على طول طريقهم التجارى من اليمن حتى تخوم الشام ، فلربما كانت يثرب مستعمرة لهم ومحطة لتجارهم على غرار مستعمراتهم فى شمال يثرب على طول طريق وادى القرى<sup>(١)</sup> . وقد يصح القول بأن جاليات من معين قد سكنت يثرب ، كما سكنها السبئيون بعد زوال مملكة معين .

ولقد حاول عدد من المؤرخين والعلماء المهتمين بدراسة المدينة تفسير أسماء المدينة المنورة وربطها بسكانها الأوائل . ويعتقد أن اسم المدينة جاءت من كلمة (مدينتا) وتعنى الحمى وأن هذه التسمية قد أتت عن طريق اليهود المتأثرين بالثقافة الأرامية ، أو عن طريق المتهودين من بنى آدم الذين دعوا باسم (مدينتا) ومنها جاءت تسميتها بالمدينة . أما كلمة مدينة على أنها اختصار من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيعتقد أنه رأى متأخر قال به العلماء<sup>(٢)</sup> . ويذكر البتوتى صاحب كتاب الرحلة الحجازية أن بعض جنود موسى عليه السلام قد سكنوا يثرب بعد أن قضوا على العماليق ، وأن موسى عليه السلام أرسل هؤلاء الجند بعد أن خرج ببني إسرائيل من مصر . لذا يعتقد أن اسم يثرب اسم محرف من الكلمة المصرية (أسريس) كما أن اسم (طيبة) الذى استعمل اسما للمدينة مأخوذة عن (طيبة) المصرية<sup>(٣)</sup> . بينما يذكر المسعودى أنها سميت يثرب نسبة الى يثرب بن قايين بن ماهانول بن عييل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، وكان أول من نزلها فسميت باسمه<sup>(٤)</sup> . ويذكر لنا ابن هشام أن يثرب اسم مأخوذ عن

(١) جواد على : الفصل فى تاريخ العرب ، ج ٤ ، ص ١٨٠ .

(٢) الخزاعى : الدلالات السمعية ، ورقة ١٠٨ .

(٣) البتوتى : الرحلة الحجازية ، ص ٥٢ .

(٤) جواد على : الفصل فى تاريخ العرب ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

- عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة ، ص ١٢٤ .



التثريب، ويزعم السهمودي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلها كره أن يدعوها  
يثرب كراهية للتثريب، فدعاها طيبة وطابه<sup>(١)</sup>. ولعل أقرب أسماء المدينة صحة هو  
أقربها الى التاريخ الإسلامى فتاريخ المدينة الواضح هو تاريخها منذ القرن الذى سبق  
الهجرة النبوية، أى منذ بداية القرن السادس الميلادى<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن منطقة المدينة كلها منطقة خصبة، إلا أن أخصب أجزائها هو الجزء  
الجنوبى الشرقى، والجزء الشرقى حيث حرة واقم. ولقد سكن حرة واقم قبائل اليهود  
من بنى النضير وقريظة، وسكنتها أيضا أهم البطون الأوسية وأكبرها بطن بنى  
عبدالأشهل الذين أقاموا حصناً لهم سموه بحصن واقم نسبة الى حرة واقم<sup>(٣)</sup>. ولا تزال  
هناك بقايا من أطلال هذه الآطام<sup>(٤)</sup> حتى زمن الاصطخرى فى القرن الرابع الهجرى.

إن حرة واقم غدت ميدانا للحرب منذ استقر الإسلام بالمدينة، فقد حاصر النبى  
صلى الله عليه وسلم، اليهود من بنى قريظة حتى قضى عليهم، ومن قبل بنى النضير  
حتى أجلاهم، وشهدت هذه المنطقة موقعة الحرة فى عهد يزيد بن معاوية سنة  
٦٣هـ<sup>(٥)</sup>. لذا يمكن القول أن منطقة حرة واقم فى شرق المدينة المنورة كانت أكثر  
عمرانا من منطقة حرة الوبرة فى غربها حين هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة  
اليها سنة ٦٢٢م.

وتمتد حرة الوبرة فى غرب المدينة المنورة من ذى الحليفة جنوبا الى منطقة بئر روت  
مجتمع أسياى أودية المدينة شمالا، ويذكر أن بطونا من اليهود كانت تسكن منطقة بئر  
روت وأن هذه البئر كانت لرجل يهودى يبيع ماءها للمسلمين فاشتراها منه عثمان بن  
عفان رضى الله عنه، استجابة لرغبة النبى صلى الله عليه وسلم، ودفع فى ثمنها

(١) السهمودي: وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٤٨.

- البتوني: الرحلة الحجازية، ص ٥٣.

(٣) ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٩٣.

(٤) الاصطخرى: مسالك الممالك، ص ٢٥.

(٥) الطبرى: تاريخ، ج ٤، ص ١٠٦.

عشرين ألف درهم<sup>(١)</sup>. وحيث أن منطقة حرة الوبرة كانت أقل عمراناً من منطقة حرة واقم، فإن وادي العقيق إلى الغرب من حرة الوبرة كان له أثر كبير في النشاط الاقتصادي وخاصة الزراعة، وذلك لكثرة مياهه وخصبة تربته. ولذلك أقيمت عدة آطام (حصون) على امتداد هذا الوادي<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر الزراعة النشاط الرئيسي لسكان يثرب، وهي الحقيقة التي نصل إليها عن طريق الشواهد الكثيرة التي مارسها السكان في الجاهلية وفي صدر الإسلام عن طريق حاصلاتها الزراعية التي اشتهرت بها، وأهمها التمر الجيد الذي يشكل المحصول الرئيسي في النشاط الزراعي. ونفهم ذلك من نصوص كثيرة منها الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسعد بن معاذ أبان غزوة الخندق حين عرض النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الأحزاب أن ينصرفوا ولهم ثلث ثمار المدينة، وناقش في ذلك الأنصار. فقال سعد بن معاذ بعد أن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهذا الأمر وحى، أم هو كيد؟»، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه رأى، وإنني قد وجدت قوة العرب فأحببت أن أصرفهم عنا حتى نستطيع أن نقاومهم بعد ذلك». فقال سعد: «والله يارسول الله لقد كنا ونحن أهل شرك وأوثان لا يطمع واحد منهم أن يأخذ ثمرة من ثمارها إلا بثمانها. أفبعد أن أكرمنا الله بك نعطيهم أموالنا؟ والله ما نعطيهم إلا السيف<sup>(٣)</sup>».

ومن الجدير بنا أن نشير إلى أن ثمار المدينة كثيرة ووفيرة، ولهذا لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اغراء الغزاة بثمارها مقابل الانسحاب، فرضوا بالانسحاب. وكانت ثمار المدينة في العصر الجاهلي وحتى الوقت الحاضر تفيض عن حاجة سكانها، ولذلك قام بينهم وبين القبائل العربية تبادل تجارى كبير<sup>(٤)</sup>.

ويعتبر التمر الغلة الرئيسية لسكان المدينة، وتنبثق منه عوائد اقتصادية فرعية، فإلى

(١) الطبرى: تاريخ، ج ٣، ص ٨٢.

(٢) جواد على: الفصل، ج ٤، ص ١٨٥.

(٣) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٦٨.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ٢١٠.



جانب التمر كطعام ، فالنوى علف لإبلهم ، وقد كان ذلك ما يميز إبل المدينة . وكل دارس يعلم أن أبا سفيان قد ساحل بالعر عندما وجد نوى يثرب في بئر الابل عند الماء في الطريق فعلم أن عيون المسلمين ترصد القافلة ، فاتجه بها الى طريق الساحل<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن سكان المدينة يستفيدون من جريد النخيل وسعفها وليفها فيما يصنعون منه أو يستخدمونه في حاجاتهم .

ولما كانت زراعات النخيل تنتشر بين مساحات خالية ، كان ذلك فرصة لقيام زراعات محصولية أخرى ، وتلك حقيقة مازالت قائمة في زراعات النخيل حتى اليوم ، وأهم ما كان يزرع في تلك المساحات الشعير ، وهو طعام شائع في ذلك العصر في مثل تلك البقاع ، وكان محصوله يسد جانبا كبيرا من احتياجاتهم الى الحبوب . كما توجد محاصيل أخرى ولكنها أقل في الكمية من التمر والشعير كالقمح والكروم وبعض الفواكه كالرمان والليمون وشيء من القثاء والبقول وأصناف أخرى من المحاصيل<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فقد كانت الحرفة السائدة لسكان يثرب هي الزراعة سواء كان في أرض مملوكة أو مكتراه على جزء من الغلة أو جزء من الأرض . وقد كانت عوالى المدينة هي أخصب النواحي فيها ، وكانت الأرض وزراعتها أنفس المال في عيون أهل يثرب ولقد اهتموا بها . ويتضح لنا من حصار الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود . فقد كانت آطامهم التى تحصنوا بها موفورة المؤنة تسمح لهم بالمسير على الحصار فترة طويلة ، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتقطيع بعض النخيل لما يعلمه من شدة وقع ذلك في نفوسهم . فصاحوا : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض ، فما بالك تقطع النخيل؟<sup>(٣)</sup> ، فنزل قوله تعالى :

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن هشام : السيرة ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ : ١٣٨ .

(٢) يعقوبى : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٤) سورة الحشر - الآية .

أما الأراضي التي لا تصلح للزراعة المحصولية مثل منطقة زغابة<sup>(١)</sup> والغابة<sup>(٢)</sup>، والربذة<sup>(٣)</sup> ونقيع الخضبات<sup>(٤)</sup>، فقد كانت مراعى يرعى فيها أهل يثرب أنعامهم وإبلهم. وفي الإسلام حمى النبي صلى الله عليه وسلم بعض هذه المناطق كالربذة وجعل فيها إبل الصدقة ونقيع الخضبات حماها لخيول المسلمين<sup>(٥)</sup>.

ويتضح لنا أن الرعى كان النشاط الاقتصادي ذا الأهمية التالية للزراعة، وهو حرفة مرتبطة بالماء والأمطار.

أما الصناعة فهي ضرورة تصحب كل نشاط اقتصادى حتى في صورته البدائية. فمنذ أن كان الصياد الأول، كانت صناعة أدوات الصيد واستغلال جلود الصيد وعظامه وشعره في منافع شتى يترفق بها الناس في حياتهم اليومية، وكلما تعددت الأنشطة كثرت دواعى الصناعة، وكلما أخذت الحياة صورة الاستقرار والتمدن كلما كانت الحاجة إلى النشاط الصناعى وتنوع مجالاته أكثر وأكثر.

والمدينة منذ أزمان سحيقة تجمع حضارى له مقومات التمدن في حدود ما يتيحها كل عصر بساطة أو تعقيدا. فنواتج الزراعة في المدينة تعطى مادة للتصنيع. واحتياجات الحضر الى الأبنية وغيرها وطموحهم الى ألوان من الترفيه تستدعى صناعات كثيرة، منها ما يجتلب ومنها ما يصنع محليا، وضرورات الحرب أيضا تستدعى مثل ذلك. فمنتجات السعف والجريد والليف وما يحتاجه الناس في بيوتهم ولدوابهم وحلهم وترحالهم كان من الأنشطة الصناعية في المدينة، يساعد على ذلك وجود المواد الأولية وكثرة الحاجة والطلب<sup>(٦)</sup>. ولقد قامت في المدينة صناعة الأثاث الخشبية لوجود الأخشاب في غابة المدينة، وكان استعمال الكراسى معروفا عندهم،

(١) زغابة: تقع في أقصى الشمال الغربى للمدينة.

(٢) الغابة: تقع في الشمال الغربى من المدينة.

(٣) الربذة: تقع في طريق مكة المدينة، انظر جواد على: الفصل، ج ٤، ص ١٨٨.

(٤) نقيع الخضبات: تقع في شرق المدينة المنورة: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٨٩.

(٥) ياقوت: معجم، ج ٥، ص ١٢٣.

(٦) أحمد الشريف: مكة ولامدينة، ص ٣٤٩.



خصوصاً عند أغنياء اليهود، يصنعونها من الخشب ويجعلون أرجلها من الحديد، كما كانت صناعة الأبواب والمقاتل والزناويل والحبال وغيرها من نواتج النخيل أمراً شائعاً معروفاً<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن العمران يقتضى قيام الصناعات المتعلقة بإقامة المباني من نحت حجارة وصناعة أبواب وغيرها. والحاجة إلى الفؤوس والمحاريث والمساحى والمناجل، والحاجة إلى هذه الآلات وغيرها ساعد على قيام الصناعات، وأهمها: صناعة الحدادة. ولخبرة اليهود في المجال الصناعى، جعلهم يسيطرون على الصناعة واشتهروا بصناعة الحلى، فقاموا بصناعة الخواتم والخلائيل والعقود، واستخدموا الذهب والمجوهرات والأحجار الكريمة<sup>(٢)</sup>.

وأنعشت الحروب الدائمة في المدينة صناعة الأسلحة، فبدأ اليهود يقومون بصناعة الأسلحة المختلفة التى يستلزمها الحرب بالإضافة إلى أنهم اهتموا بصناعات الآلات الخاصة بالصيد<sup>(٣)</sup>.

ولقد انتشرت الحياكة في جميع بيوت المدينة وكان يقوم بها النساء، كما كن يقمن بعمل الغزل والنسيج، أما بعض الرجال، فكانوا يقومون بعمل الدباغة وصناعة الفخار والأواني النحاسية. وكانت الجاليات من الأحباش والروم والفرس الذين دخلوا واستوطنوا المدينة في العصر الجاهلى هم الذين يقومون بهذه الصناعات<sup>(٤)</sup>.

### التجارة الداخلية والخارجية وطرق القوافل :

لم تختلف يثرب في حياتها عن حياة المدن والقرى بما فيها من أعمال دائمة زراعية أو صناعية أو تجارية.

---

(١) السهمودى: وفاء الوفاء، جـ ٢، ص ٣٢١.

(٢) المرجع السابق: جـ ٢، ص ٣٢٣.

(٣) الخزاعى: الدلالات السمعية، ورقة ٦٦٩.

(٤) السهمودى: وفاء الوفاء، جـ ٢، ص ٣٤٣.

فتربتها الخصبة أغنت أهلها عن التغرب والترحال ابتغاء الرزق وإلى جانب ذلك طبيعة كونها مدينة وحولها القرى والأعراب جعل فيها حركة تجارية رائجة، فقد ورد في القرآن الكريم آيات مدنية كثيرة، فيها بعض الأوامر والنواهي والتشريعات التي توحى أنه كان في المدينة حركة تجارية غير ضعيفة قبل الإسلام<sup>(١)</sup>.

كانت التجارة الداخلية في يثرب نشيطة سواء بين أهلها أنفسهم أو بينهم وبين جيرانهم من الأعراب الذين كانوا يفدون إليها لتصريف منتجات البادية من إبل وغنم وخيل وصوف ووبر وسمن. هذا إلى جانب صناعة الصياغة حيث كانت تمون ما حولها من مدن بما تحتاج إليه من حلى لنسائهم وبناتهم، وصناعة الأسلحة والدروع والآلات الزراعية<sup>(٢)</sup>.

فقد كانت فيها أسواق عدة لتسويق البضائع وتصريف التجارة، أهم هذه الأسواق هي:

- أ - سوق بني قينقاع عند جسر وادي بطحان مجاور لمنازلهم، وكانت سوقا تكثر فيها حركة البيع والشراء والتعامل.
- ب - سوق زباله في الشمال الغربي من المدينة، وهذا السوق عظم أمره بعد الإسلام.
- ج - سوق بالعصبة وسوق بمزاحم عند مساكن بني حنبل عشيرة عبدالله بن أبي.
- د - سوق بقيع الخيل، قرب البقيع، كان بنو سليم يجلبون إليها الخيل والإبل والغنم والسمن<sup>(٣)</sup>.

وكانت تجارة المدينة من تمر وشعير وطعام وخمر وحطب تباع وتشتري في هذه الأسواق، هذا إلى جانب ما يأتي إلى هذه الأسواق من خارج المدينة من منتجات

(١) البتوني: الرحلة الحجازية، ص ٢٥٣.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥٤.

(٣) ياقوت: معجم، ج ٥، ص ١٨٥.



البادية إلى جانب المصنوعات في المدينة وخارجها من سلاح وآلات زراعية ومنسوجات قطنية وحريرية وأنواع العطارة والروائح العطرية<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب البيع والشراء كان هناك أناس يعملون بالصيرفة وكانوا يبيعون الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، واستبدال النقود وكسرها<sup>(٢)</sup>. وكانت السمسرة حرفة يحترفها بعض الناس، حيث يقولون: البيع نيابة عن أصحاب البضائع<sup>(٣)</sup>.

ورغم هذه الحركة التجارية فلم تكن هناك هيئة حكومية تقوم بدور الرقابة على البيع والشراء وضبط المكاييل وحماية السذج من البدو من الوقوع في يد المحتالين والغشاشين. فكان البيع والشراء مجازفة أدى إلى ظهور المناجشة وهي تلقى الركبان قبل الوصول إلى المدينة وشراء ما لديهم قبل علمهم بالثمن الحقيقي لبضاعتهم وأدى هذا إلى احتكار مثل هذه البضائع فكان الغش والمخادعة أمرا جاريا في الأسواق، فكانوا يبلون الحنطة والشعير ليكثر كيلها ويخفى الرديء داخل الطيب، وكان البيع بالنسيئة<sup>(٤)</sup>، والرهن من وسائل البيع<sup>(٥)</sup>.

وكان في المدينة أيضا بيع الدور والأرض والمزروعات قبل أن يظهر محصولها ويقدر، فكان يحدث بسبب ذلك خسارة من كلا الوجهين، فقد كانت في بعض الأحيان تصاب الشار بالأمراض والفساد فتكون الخسارة للبائع والمشتري لحاجة كل منهما للآخر<sup>(٦)</sup>.

أما الربا، فقد كان مظهرا من مظاهر الحركة الاقتصادية والتجارية ووسيلة من وسائل التعامل في المجتمع العربي بعامة، وفي المدينة بخاصة، وكان يزاوّل في المدينة مزاولة كبيرة بين أهلها أنفسهم، وبين الوافدين اليهم، وكان العرب واليهود يزاوّلونه

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٤١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ٦٤٤.

(٤) النسيئة: تأجيل الثمن.

(٥) الخزاعي: الدلالات السمعية، ورقة ٦٤٩.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٤٦.

على السواء. وقد ندد القرآن الكريم باليهود ونهاهم عن الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل<sup>(١)</sup>.

ولتغلغل الربا في الحياة التجارية في المدينة ندد القرآن الكريم في ابطال التعامل به فبدأ بالنهي ثم التحريم كاملاً بعد أن بين أضراره<sup>(٢)</sup>

وبعد قيام الدولة الإسلامية في يثرب بعد الهجرة، عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تنظيم البيع والشراء والمعاملات ونهى عن الوسائل غير الشريفة فيه، فمنع السمسرة، وتلقى الركبان خارج المدينة، والغش، وبيع المزروعات قبل أن يعرف صلاحها، وأمر بالكيل والوزن أساس في المبايعة، ومنع بيع المجازفة، بل وأمر بضرب من يبيع جزافاً، كما قضى برد كل بيت استعملت فيه المناجشة والخداع<sup>(٣)</sup>.

وبذلك وضعت التشريعات لتنظيم التجارة في المدينة وقامت الدولة على مراقبتها وتنظيمها، فأدى هذا إلى رواج التجارة الداخلية لما في هذه التشريعات من نشر للثقة في نفوس البدو الوافدين وعرب المدينة أنفسهم فزاوّل المهاجرون - إلى جانب أهل المدينة - البيع والشراء وجنوا من وراء ذلك ثروات كبيرة<sup>(٤)</sup>. فظهر ذوو الثروة بعد الهجرة إلى المدينة من المهاجرين أمثال: عثمان بن عفان رضى الله عنه، وعبدالرحمن بن عوف، حتى لقد أسهم عثمان في تجهيز جيش تبوك بتسعمائة وخمسين جملاً وخمسين فرساً، وألف دينار<sup>(٥)</sup>.

وقد أضر هذا التنظيم باليهود الذين كانوا يستغلون الفساد لتكوين ثرواتهم. ولوقوع المدينة على طريق قوافل التجارة، اشترك تجار المدينة في الأسفار التجارية، كما كان يقوم أهل مكة، وقاموا بالرحلات التجارية الخارجية ودفعهم الى ذلك احتكاكهم

(١) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٥٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٦٠.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٣٣-٢٣٦.

(٤) السمهودى: وفاء الوفا، ج ٢، ص ٥٢٠.

(٥) ابن هشام السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٧٩.

- ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٧.



بقوافل تجار مكة الذين يرحلون إلى الشام وإلى اليمن ، مارين بالمدينة فيبيعون ويشتررون معهم ما يلزمهم من أقمشة قطنية وحريرية وما يحتاجون إليه من زيت ونبيد ، كما كانوا يصرفون إليهم صناعاتهم من حلى وأسلحة ، وقاموا برحلات خارجية للشمال والجنوب لجلب ما يلزمهم من خامات الذهب والحديد والأحجار الكريمة من مصادرها فسافروا بالبر وركبوا البحر في سبيل ذلك ، فكان للمدينة على البحر الأحمر موانئ تغلغ منها السفن وترسو فيها<sup>(١)</sup> .

ورغم أن يثرب لظروفها الداخلية لم تقو على منافسة مكة في مجال التجارة في الفترة التي سبقت الإسلام ، إلا أنها نافستها منافسة خطيرة بعد الهجرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية بها<sup>(٢)</sup> .

فبعد أن استقر المسلمون في المدينة اتجهوا إلى التجارة الخارجية إلى جانب التجارة الداخلية ، فقد عمل رجال من المهاجرين ، أمثال طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن زيد في تجارة القوافل ، فكانوا يرحلون إلى الشام ويجلبون منها التجارة ، وشيئا فشيئا تحول الزمام إلى المدينة بعد أن صارت عاصمة الدولة العربية الإسلامية .

والأهم من كل ذلك أن المدينة اكتسبت قداستها في الإسلام باعتبارها دار الهجرة وبما تقرر من حرمتها<sup>(٣)</sup> شأنها شأن مكة ، وباعتبارها مثوى الرسول صلى الله عليه وسلم ووجود مسجده بها ، وأصبح المسلمون يقصدونها بعد أداء الحج للزيارة ، وهذا أدى إلى قيام خلفاء المسلمين بالعمل على توفير الخدمات للمسلمين أثناء زيارتهم لها ، وتوفير الراحة والأمن لهم في الطرق التي يسلكونها إليها .



(١) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٥٢٣ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٧٠ .

(٣) عن حرمة المدينة التي تقرر لها بمقتضى الصحيفة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود بعد هجرته إليها .

انظر محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية الإسلامية ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

## الفصل الثانى

### خدمات الحجاج ومرافق الحج فى مكة المكرمة

- ١ - توفير المياه فى مكة :
  - أ - بئر زمزم .
  - ب - الآبار .
  - جـ - العيون .
- ٢ - السيول وأثرها فى مكة المكرمة .
- ٣ - توفير الطعام للحجاج خلال موسم الحج .
- ٤ - توفير السكن للحجاج خلال فترة الموسم :
  - أ - سكن الحجاج من دور أهل مكة .
  - ب - الأربطة ودورها فى اسكان الحجاج .
  - جـ - المدارس فى مكة ودورها فى سكن الحجاج .





## مكة المكرمة :

### توفير المياه في مكة المكرمة :

أصبحت لمكة أهمية كبرى بعد بناء البيت الحرام ، اذ بدأت تقطنها القبائل العربية بعد أن أصبح بئر زمزم المصدر الوحيد للحياة فيها . هذا ولم يقم الجراهمة بأية أعمال للبحث عن المياه في مكة لاعتمادهم على بئر زمزم<sup>(١)</sup> غير أن قبيلة خزاعة أخذت تهتم بتوفير المياه وحفر الآبار لها خارج مكة في طرق القوافل<sup>(٢)</sup> . كما أن القرشيين حفروا آبارا داخل مكة بعد أن كثر سكانها ، وزاد عدد الحجاج الوافدين إلى البيت الحرام<sup>(٣)</sup> .

وخوفا من الجفاف وانخفاض منسوب المياه في الآبار ، قام أهل مكة بعمل أحواض على رؤوس الجبال وفي داخل الشعاب لتخزين مياه الأمطار فيها لسقاية أنفسهم ، ولسقاية الحجاج<sup>(٤)</sup> .

وبعد أن تشعبت بطون قريش أصبحوا يهتمون بحفر الآبار ، فاهتم عبدالمطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، باعادة حفر بئر زمزم بعد أن نقصت مياه الآبار ، وكذلك المياه المخزونة في الأحواض ، كما أنه اهتم بعمل الأحواض داخل الحرم ، وكان يضع فيها الماء لسقاية الحجاج<sup>(٥)</sup> . وقد استمر عبدالمطلب في سقاية الحجاج حتى توفي ، ثم تولى هذا الأمر من بعده ابنه أبوطالب<sup>(٦)</sup> .

وحينما تم للرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة اهتم بتوفير المياه التي كان مصدرها الرئيسي الآبار التي حفرت في العصر الجاهلي ، فأصلح الرسول صلى الله

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٢) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٥) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٦) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .



عليه وسلم، بعضها، وجدد البعض الآخر. وقد أشرف على اصلاح هذه الآبار عتاب بن أسيد واليه على مكة<sup>(١)</sup>.

ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وتولى أمر الخلافة ابوبكر الصديق رضى الله عنه وخلفاؤه من بعده، أمر المسلمين فاهتموا بتوفير المياه في مكة من هذه الآبار<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن آلت الخلافة إلى البيت الأموي، اهتم هذا البيت بحفر الآبار في مكة وفي أمكنة الحج، كما نهج أهل مكة نهج الأمويين<sup>(٣)</sup>.

ولما تولى بنو العباس الخلافة اهتم خلفاؤهم بتوفير المياه من أجل سقاية الحجاج، وسنورد فيما يلي أهم مصادر المياه من آبار وعيون في هذه الحقبة الزمنية موضوع البحث، وما قام به الخلفاء والولاة من أجل توفير المياه لأهل مكة ولحجاج بيت الله الحرام..

### أ- بشر زمزم :

ماء زمزم من المياه المباركة عند العرب في الجاهلية<sup>(٤)</sup>، كما تذكر لنا الأحاديث الشريفة ما نستدل به على بركة زمزم، فلقد ذكر الشيخان في صحيحهما قصة أبي ذر الغفاري رضى الله عنه، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زمزم: (إنها مباركة. إنها طعام طعم. وشفاء سقم)<sup>(٥)</sup>

(١) الأزرقى: أخبار مكة: ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) النهروالى: الاعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٩٣.

(٣) الفاسى: العقد الثمين، ج ١، ص ١٥٩.

(٤) يذكر لنا كثير من المؤرخين ما قاله العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه، عن تنافس الناس في أثناء سقياهم من زمزم في العصر الجاهلى وتبكرهم به:

انظر: الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٥٢.

الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ٩٧.

محب الدين الطبرى: القرى لقاصد أم القرى، ص ٤٤٦.

(٥) البخارى: صحيح، ج ٢، ص ١٠٥.

ويذكر لنا البخارى فى صحيحه ما أخرجه - عن قول ابن عباس - رضى الله عنه ،  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفى به ،  
شفاك الله ، وإن شربته ليشبعك ، أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ،  
وهى هزيمة جبريل<sup>(١)</sup> ، وسقيا الله اسماعيل<sup>(٢)</sup>).

ولا ريب أن بركة زمزم استمرت على مر العصور منذ زمن اسماعيل بن ابراهيم -  
عليهما السلام - ونستدل من الأحاديث الشريفة على أن ماء زمزم من المياه المباركة وأنها  
مياه صحية ومفيدة للإنسان وشفافية لما يشكو من أمراض .

وفى هذا المقام نقول إن سقاية الحجاج من زمزم كان يقوم بأمرها منذ العصر  
الجاهلى العباس بن عبدالمطلب ، ثم أقره على هذا الرسول الكريم صلى الله عليه  
وسلم ، بعد فتح مكة<sup>(٣)</sup>.

وقد ظل عمل السقاية فى البيت العباسى حتى زوال الخلافة الأموية ، وبعد أن  
آلت الخلافة الى بنى العباس ، أسند أمر السقاية فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور  
سنة ١٣٨ هـ الى آل الزبير بن العوام<sup>(٤)</sup>.

وكان أول من تولى السقاية من آل الزبير هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ذاكربن  
على بن محمد بن الزبير بن العوام . وقد استمرت هذه الأسرة تتولى أمر السقاية حتى  
الوقت الحاضر<sup>(٥)</sup>.

وإذا نظرنا فى تاريخ الدولة العباسية ، نجد أن خلفاء بنى العباس لم يهملوا أمر  
السقاية ، بل قاموا بخدمات كثيرة فى هذا الصدد منها :

---

(١) هزيمة جبريل : ضربة جبريل على الأرض التى فجرت زمزم ، انظر : الزبيدي : مادة هزم .

(٢) البخارى : صحيح : صحيح ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٤) لقد تولت أسرة الزبير بن العوام أمر السقاية فى مكة المكرمة سنة ١٣٨ هـ بأمر الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور  
وحيث أن هذه الأسرة كانت تتولى رئاسة المؤذنين فى مكة ، فقد أطلق عليهم اسم بيت الرئيس ، نسبة الى رئاسة  
التوقيت والأذان فى الحرم المكى .

(٥) انظر شكل رقم (٥) لتوضيح تسلسل أسرة الزبير بن العوام .



١ - أن الخليفة أبا العباس السفاح أمر ببناء حجرة بجوار بئر زمزم لمن يتولى أمر السقاية<sup>(١)</sup>.

٢ - وأن الخليفة أبا جعفر المنصور أمر في سنة ١٣٨هـ ببناء قبة على بئر زمزم، وأنه زاد من عدد البرك في داخل الحرم من أجل سقاية الحجاج بدلا من ازدحامهم على حوض واحد<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي سنة ١٧٣هـ أدى فريضة الحج هارون الرشيد، وأمر أثناء وجوده في مكة ببناء مظلة المؤذنين فوق بئر زمزم بجوار القبة التي شيدها أبوجعفر المنصور، كما أمر بزيادة عدد البرك في داخل المسجد الحرام لسقاية الحجاج من ماء زمزم، وأحضر أيضا في هذه السنة خمسين من الغلمان الخراسانيين وصفوا فيما بين الصفا والمرة من أجل أن يسقوا الحجاج ماء زمزم<sup>(٣)</sup>.

٤ - وفي سنة ٢٢٠هـ أمر الخليفة المعتصم بالله ببناء قنوات من الرصاص من أجل إيصال ماء زمزم بالبرك التي بنيت في المسجد الحرام وأمر بنقش جدران حجرة السقاية بالفسيفساء ووضع الرخام في أرض بئر زمزم، كما أمر بوضع الشباك الحديدي عليها<sup>(٤)</sup>.

٥ - وفي سنة ٢٤٠هـ في عهد الخليفة المتوكل على الله، جدد بناء مظلة المؤذنين التي تقع فوق زمزم، وأصلحت البرك التي تصدعت في داخل الحرم<sup>(٥)</sup>.

٦ - وفي سنة ٢٥٦هـ في خلافة المهدي بالله أمر بتجديد بناء البرك في داخل الحرم

---

(١) وهي التي تسمى حجرة السقاية، وهي مقر لمن يتولى أمر السقاية والاشراف على بئر زمزم.

انظر: الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٠.

(٣) الفاسى: العقد الثمين، ج ١، ص ١٦٧.

- الجزيرى: درر، ص ٢٢١.

(٤) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٠١.

(٥) الفاسى: العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٠.

وبناء باب من الحديد على بئر زمزم يغلق ليلا بعد صلاة العشاء، ويفتح مع صلاة الفجر<sup>(١)</sup>.

هذا ولم تذكر لنا المصادر أية اصلاحات أو خدمات لبئر زمزم بعد هذه الفترة الزمنية سوى ما كان يقوم به الخلفاء والأمراء والسلاطين من تقديم الأعطيات لمن يتولى أمر السقاية في مكة المكرمة.

### ب - الآبار في مكة :

بئر العجول: حفر هذه البئر كلاب بن مرة وجعلها لسقاية الناس. وتقع هذه البئر في دار أم هانئ، عند باب الوداع وهذه البئر أهمية عند سكان مكة في الجاهلية، لأن العرب حينما كانوا يدخلون مكة كانوا يرتادونها ويتزودون من مائها.

بئر بنر: حفرها قصي بن كلاب، وتقع في أعلى مكة ثم ردمت من بعده وجدد بناءها جبير بن مطعم بن عدى، ونسبت إليه فيما بعد<sup>(٢)</sup>.

بئر بذر: تقع في مدخل الخندق<sup>(٣)</sup> والذي حفر هذه البئر هاشم بن عبد مناف<sup>(٤)</sup> وجعلها لسقاية الحجاج. غير أن ياقوت يذكر أن الذي حفر هذه البئر عبدالدار. ويقول البلاذري أن الذي حفرها هو قصي بن كلاب<sup>(٥)</sup>. ولكن الزبيدي يرجح قول الأزرقى فيمن حفرها، وقد اصطلح أخيرا على تسمية هذه البئر باسم بئر الحمام<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢١٦.

- البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٥٧.

(٣) الخندق: جبل يقع في مدخل شعب على بمكة.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٥٨.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٥٩.

(٦) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢١٦.

- الزبيدي: تاج العروس، مادة بذر.



بئر سجلة: تقع هذه البئر بين الصفا والمروة وقد حفرها هاشم ابن عبدمناف وأصبحت من بعده لابنه عبدالمطلب. ولكن عبدالمطلب حينما اهتم بحفر زمزم وأصبح يتولى سقاية الحجاج من بئر زمزم، أعطى بئر سجلة لمطعم بن عدى<sup>(١)</sup>، وهذه البئر اسم آخر هو بئر بنى نوفل<sup>(٢)</sup>.

بئر طوى: حفرها عبدشمس بن عبدمناف، وتقع في مدخل مكة وجعلها لسقاية الحجاج، وسكان مكة مما جعل لهذه البئر أهمية في العصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي وتشتهر بعذوبة مائها<sup>(٣)</sup>.

بئر خم ورم: وبعد أن ضعف مصدر المياه في مكة اهتم عبدشمس بزيادة حفر الآبار في مكة إذ أنه حفر بئرين ساهما: (خم ورم) وجعلها لسقاية أهل مكة والحجاج<sup>(٤)</sup>.

بئر الحفر: حفرها أمية بن عبدالشمس وتقع بطرف أجياد، وجعلت لسقاية أهل مكة<sup>(٥)</sup>.

بئر السنبلة: حفرها خلف بن وهب، وتقع بأسفل مكة بالقرب من دار الزبير بن العوام، وتشتهر بعذوبة مائها<sup>(٦)</sup>.

ويذكر ابن هشام ويؤكد هذا القول ابن كثير أن اسم هذه البئر بئر النبي صلى الله

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة: ج ٢، ص ٢١٩.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢١١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٥٧.

وهذه البئر موجودة حتى الوقت وهي ضمن أوقاف السيد فضل عليل ويقصدها الحجاج من أجل التبرك بها.

(٤) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢١٩.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٠.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢١٢.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٥٨.

عليه وسلم ، وأنها سميت بهذا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حينما مر بها بصق فيها واصطلمح على تسميتها أخيراً ببئر التفلة<sup>(١)</sup>.

بئر السيرة : حفر هذه البئر لؤى بن غالب خارج الحرم<sup>(٢)</sup> ويقول الأزرقى إن الذى حفرها هو مرة بن كعب<sup>(٣)</sup>. والمفيد أن نذكر أن سكان مكة يشربون من هذه البئر بسبب غزارة مائها بعد سقوط الأمطار، ويمكن القول انها كانت بئراً موسمية.

وهذه الآبار حفرت جميعها فى العصر الجاهلى ، وحينما تم للرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة اهتم بتوفير المياه فأصلح الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعض هذه الآبار وجدد البعض الآخر، وقد أمر والى مكة عتابة بن أسيد بأن يشرف على اصلاحها لكي يستقى منها الحجاج فى موسم الحج .

كما اهتم الخلفاء الراشدون بتوفير المياه فى مكة من هذه الآبار.

وفى سنة ٣٨ هـ حفر أبو موسى الأشعرى بئراً فى المعلاة عند نهاية الحجون سميت باسمه<sup>(٤)</sup>.

وحينما تولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة اهتم بتوفير المياه فى مكة فأمر واليه على مكة بأن يقوم بحفر الآبار فى مكة وأمكنة الحج<sup>(٥)</sup>.

كما اهتم سكان مكة بحفر الآبار فى فترة الخلافة الأموية وسنذكر فيما يلى أهم هذه الآبار<sup>(٦)</sup>.

---

(١) ابن هشام : السيرة، جـ ٤ ، ص ٩٥ .

- ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٢ ، ص ١٩٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان، جـ ١ ، ص ٥٩ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٥) الأزرقى : أخبار مكة جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان، جـ ١ ، ص ٦٠ .

- الفاسى : شفاء الغرام، جـ ١ ، ص ٦٠ .



بئر الشركاء: حفر هذه البئر بنو مخزوم سنة ٦١هـ وتقع في أجباد حيث كان مقر سكناهم<sup>(١)</sup>.

بئر عكرمة: حفرها عكرمة بن خالد بن العاص بأجباد في خلافة يزيد بن معاوية وسميت باسمه<sup>(٢)</sup>.

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة اهتم باصلاح الآبار في مكة.

ففى سنة ٨٩هـ أمر بحفر بئرين: بئر بثنية طوى والبئر الأخرى عند الحجون<sup>(٣)</sup>. كما أمر ببناء أحواض حول المسجد لتوضع فيها المياه لسقاية الحجاج فى فترة الموسم<sup>(٤)</sup>. هذا ولم تتحدث المصادر بعد هذا التاريخ عن أية اصلاحات خاصة فى الآبار فى مكة. ومن الجدير بنا أن نذكر بأن سكان مكة اهتموا باصلاح هذه الآبار وتجديد بنائها لأنها تعد مصدرا رئيسيا لحصولهم على المياه.

### جـ - العيون :

عين شعب الأرين: فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان، أمر واليه على مكة سنة ٤٣هـ باجراء عين تستمد ماءها من عين قديمة بشعب الأرين فى أعلى مكة، وقد اتخذ لها بازانات ومد منها قنوات من أجل إيصال مياهها الى المساكن المجاورة للحرم لكى لا يجد الحجاج وسكان مكة صعوبة فى حصولهم على الماء<sup>(٥)</sup>.

ومن الجدير أن نذكر أن ما قام به الخليفة معاوية بن أبى سفيان من مد هذه العين لكى يستفيد بها كل من يفد إلى مكة يعد أول عمل من نوعه لامداد المساكن المجاورة

---

(١) الفاكهى: المنتقى، ص ٥١.

- الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٦٨.

(٣) النهروالى: الاعلام، ص ٩٥.

- الفاكهى: المنتقى، ص ٥٨.

(٤) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٠.

(٥) الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ٢٢٥.

للحرم بالمياه ، كما يعد هذا العمل أهم ما قام به معاوية من خدمات في مكة المكرمة .

عين الرشا : وبعد أن تعطلت عين الأرين في عهد هارون الرشيد أمر الخليفة واليه على مكة باجراء عين الرشا التي تقع في أعلى مكة في داخل شعب الخرمانية ، كما أمر بإيصال قنوات من هذه العين إلى القنوات التي عملها معاوية بن أبي سفيان لاجراء عين الأرين التي جدد الرشيد قنواتها وأوصلها الى البركة التي قام بعملها قرب المسجد الحرام ، وقد استفاد سكان مكة والحجاج معا من هذه العين<sup>(١)</sup> .

ومن الملاحظ أن الخليفة هارون الرشيد قد دفع أموالا لأصحاب عين الرشا من أجل أن يستفيد من هذه العين لسقاية أهل مكة والحجاج . إذ يعتبر هذا العمل من أهم الأعمال التي قام بها الرشيد في فترة خلافته .

عين حنين : وفي سنة ١٩٣ هـ تعطلت عين الرشا وتعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف مما أدى إلى نضوبها فاستغل أهل مكة هذا الجفاف وبدأوا يحضرون المياه من خارج مكة ويبيعونها للحجاج حتى بيعت الراوية بعشرة دراهم<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا العام حجت السيدة زبيدة ورأت ما يقاسيه الحجاج من أجل الحصول على الماء ، فأمرت وإلى مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصول الماء إلى مكة لكي لا يجد كل من يفد إلى بيت الله الحرام صعوبة في الحصول على الماء . ومن المعلوم أن هذه الدراسة التي قام بعملها وإلى مكة أثبتت أنه لا يمكن دخول ماء الحل إلى الحرم ، وذلك بسبب الصعوبة الجغرافية لمكة ، وبالذات للمنطقة المحيطة بالحرم ، ومن ثم كان الحل هو زيادة حفر آبار في داخل الحرم ، ولكن السيدة زبيدة لم تقبل هذه الدراسة ، فأرسلت من بغداد المهندسين والصناع وأمرتهم بضرورة التوصل إلى حل

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

- الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

- الفاكهى : المتقى ، ص ٦٠ .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .

- الفاكهى : المتقى ، ص ٦٦ .



من أجل حصول سكان مكة على الماء . ولقد أثبتت هذه الدراسة أن هناك عيوناً خارج الحرم ، وهى عين حنين وعين وادى النعمان ، وأنه يمكن الاستفادة منها فى سقى أهل مكة وأمكنة المشاعر<sup>(١)</sup> .

وسوف نورد الحديث عن عين حنين . أما عين وادى النعمان فسوف نتكلم عنها فى حديثنا عن مشاعر الحج .

تنبع عين حنين من جبل شاهق فى الطريق من مكة الى الطائف ، ويسمى هذا الجبل (طاد)<sup>(٢)</sup> ، وتحيط به جبال تسمى جبال الثغبة<sup>(٣)</sup> . وهذه العين كانت تستقى منها مزارع الأعراب الذين يسكنون فى هذه المناطق<sup>(٤)</sup> . وتسمى هذه المنطقة بسهل حنين ، ويقال لها حائط حنين .

ولقد اشترت السيدة زبيدة هذه الأراضى ومهدتها وأمرت ببناء قناة يجرى فيها الماء وشقت لها الجبال وبنت لها بركاً مختلفة على قمم تلك الجبال لاستقبال مياه الأمطار وإيصالها بالقناة الرئيسية لمجرى العين من أجل مساعدتها . واستمر مجرى القناة حتى وصل مكة فكثرت المياه فيها ولم يعد الناس يشكون من نقص الماء<sup>(٥)</sup> . ثم بنت السيدة زبيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة حتى وصلت المياه إلى الحرم بالإضافة الى وضع البازانات فى كل حى من أحياء مكة من أعلى مكة حتى الحرم<sup>(٦)</sup> .

ولقد أنفقت السيدة زبيدة فى هذا العمل أموالاً طائلة ، كما أنها أوصلت بعض

(١) المسعودى : مرج الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .

(٢) انظر ياقوت : معجم ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٤) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

- الفاكهى : المنتقى ، ص ٦٨ .

- محمد رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٦) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٥١ .

- المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

الآبار القديمة التى تقع فى طريق مجرى القناة الرئيسية . ويقال أنها اشترت عيونا كثيرة مثل عين ميمونة وعين الصرفه وعين ثقبه وعين الحريبات وأوصلتها بعين حنين وأمرت بعمل البرك حول الحرم من أجل سقاية الحجاج<sup>(١)</sup>.

ويقول الفاكهى فى كتابه المنتقى : إنه فى سنة ٢١٠ هـ أبلغ والى مكة صالح بن العباس الخليفة المأمون أن أهل السوق والسفلة وأجياد لم تصلهم مياه العين ، فأمره الخليفة بعمل بازانات لهذه المناطق التى لم يصلها مجرى العين وأن تغذى هذه البازانات من القناة الرئيسية للعين ، فعمل بركة عند الصفا وبركة عند سوق الخياطين ومدت بقناة الى أسفل مكة . ولما فرغ منها أجرى فيها الماء من العين التى أمرت ببنائها السيدة زبيدة<sup>(٢)</sup>.

ولما علمت السيدة زبيدة بما فعله صالح بن العباس لامته على ما قام به وقالت له : (انما قمت به من عمل ما أريد الا أن أكمله) ، فاعتذر لها صالح قائلا : انما قمت به من عمل ما هو الا اكمال لعملك الخيرى<sup>(٣)</sup>.

ومن الجدير بنا أن نذكر فى هذا المقام أن توفير المياه فى مكة يعد من أهم الخدمات التى تقدم لهذه المدينة التى تفتقر إلى وجود الماء بها . ولكى تقدر ما قامت به السيدة زبيدة فى هذا الصدد ، يكفى أن نذكر أن الدراسات الحديثة الخاصة بالبحث عن المياه فى مكة لم تتمكن من التوصل الى نقطة ماء يمكن أن تستخرج من أية منطقة فى مكة وأن تضيف مصدرا للمياه الى المصادر التى اعتمد عليها مشروع السيدة زبيدة ، الذى لا يزال باقيا حتى اليوم ينعم به سكان مكة وحجاج بيت الله الحرام .

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

- محمد رفعت : مرآة الحرمين ، ص ٢١١ .

- محمد أنور شكرى : لوحات أثرية ، ص ٤٣ .

(٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ١٧٨ .

- وابن الفلاح الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ .

- الزركلى : الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٧٨ .



ولقد استمر جريان مياه العين ولم تتعطل منذ انشائها حتى سنة ٢٥١ هـ في خلافة المعتز بن المتوكل العباسي، إذ أخبره والي مكة بما حدث لهذه العين في مجراها من خراب فأرسل له الخليفة أموالاً لإصلاحها غير أن الإصلاح لم يتم في هذه السنة بسبب ما حدث من اعتداء على والي مكة من قبل الأشراف الحسينيين ونهب ما أرسله الخليفة من أموال لإصلاح العين<sup>(١)</sup>. وفي سنة ٢٥٣ هـ أرسل الخليفة المعتز الى والي مكة الأموال لإصلاح العين وما خرب فيها<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٢٦٩ هـ وقعت الفتنة بين رجال أحمد بن طولون ورجال الخليفة المعتمد وولى عهده أبواحمد الموفق وهزم فيها رجال أحمد بن طولون، وفي هذه السنة منع الحجاج المصريون من شرب الماء ويقال أنهم لم يشربوا الماء الا من بستان ابن عامر، ولما تم الصلح بينهم وبين رجال الموفق سمح لهم بشرب الماء<sup>(٣)</sup>.

ونستدل من هذه الحادثة على أن منع الحجاج من شرب الماء في هذه المدينة التي لا يتوفر فيها الماء يعد من أكبر ما ينزل بالحجاج. فقد استغل والي مكة الخلاف السياسي بين الطرفين ومنع الحجاج المصريين من الشرب من ماء العين.

وفي سنة ٢٧٠ هـ أمر الخليفة المعتمد بإصلاح بعض البازانات في مكة وأرسل الأموال إلى والي مكة لإصلاح بعض القنوات التي أهملت وملئت بالأتربة، كما أمر بتعيين رجال لحراسة قناة ماء عين حنين وتنظيفها من الأتربة التي رسبتها المياه في جريانها في هذه القناة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٨.

- ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٩٢.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٧.

- محمد أنور شكري، لوحات أثريات، ص ٤٤.

(٤) الصباغ: تحصيل المرام، ورقة ٢٣٢ أ.

- الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٣١.

- محمد رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١١.

ويقول الفاكهي في كتابه المنتقى إن عدد الحراس كان ثلاثمائة رجل منهم من يحرس القناة ليلاً ومنهم من يحرسها نهاراً. وقد تم توزيع هؤلاء الحراس على البازانات لحراستها وتوزيع الماء على سكان الأحياء، ولإخبار الوالي عما يحدث بها من نقص لكي يتم اصلاحه في حينه<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٠٠هـ في عهد الخليفة الناصر لدين الله غارت عيون مكة فأمر الخليفة بتعمير عين حنين وحفر الآبار اللازمة لها، ولقد مدت عيون مختلفة من منطقة حنين لتزداد بها مياه عين حنين، كما زيد من عدد البازانات في أحياء مكة لسد حاجات الحجاج<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا التاريخ لم تذكر لنا المصادر أية اصلاحات جرت لعين حنين في الفترة الزمنية التي تخص هذا البحث.

### السيول وآثارها في مكة :

تعتمد مكة على مياه الآبار، وتوفير هذه المياه في هذه الآبار يتوقف على نزول مياه الأمطار والسيول. وطبيعة أودية مكة وسطوحها تساعد على جريان المياه من أعلى إلى أسفل وتجمعها في الآبار، ونحن نجد صعوبة في معرفة عدد السيول التي تعرضت لها مكة المكرمة خلال الحقبة الزمنية التي يدور فيها هذا البحث (٨هـ : ٦٥٦هـ)، وسنورد فيما يلي أهم السيول التي ذكرها المؤرخون خلال هذه الحقبة الزمنية.

### سيل أم نهشل :

حدث هذا السيل أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان

---

(١) الفاكهي : المنتقى، ص ٧٤.

- محمد ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٢.

(٢) الأزرقى : أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٣٢.

- محمد ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٣.



لهذا السيل أثر كبير حيث أنه امتد إلى الحرم واقتلع مقام ابراهيم عليه السلام ، وهدم بعض الدور وملاً آبار مكة بالمياه<sup>(١)</sup>.

وأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعمل ردم فى أعلى مكة ، وقد بنى هذا الردم بصخور عظام لكى تحيط بالحرم لمنع السيل من دخوله<sup>(٢)</sup>.

كما أمر والى مكة بإعادة بناء الدور التى خربها السيل . وقام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بإعادة مقام ابراهيم الى مكانه مستعيناً بأحد سكان مكة للاستدلال على مكان المقام<sup>(٣)</sup>.

ومنذ هذه السنة لم يتعرض المسجد الحرام لسيل حتى سنة ٨٠هـ بالرغم من سقوط الأمطار الغزيرة فى بعض السنوات .

### سيل الحجاج :

وفى خلافة عبدالملك بن مروان داهم الحجاج فى يوم التروية سنة ٨٠هـ سيل عظيم دمر أمتعتهم ودخل المسجد الحرام ، وأحاط بالكعبة وهدم بعض الدور التى تقع بالمعلاة ، وقتل أناسا كثيرون حتى أنه لم ينج منهم إلا من صعد الجبال واعتصم بها . وحينما علم عبدالملك بن مروان بذلك كتب إلى عامله فى مكة يأمره بإعادة بناء الدور التى هدمت ، وبناء ردم يحيط بالمسجد الحرام سمي بدم (الخزامية)<sup>(٤)</sup>.

### سيل المخبل :

حدث هذا السيل سنة ٨٤هـ ، وقد أصاب الناس بسببه مرض فى أجسادهم وألستهم ودخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

- الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

(٣) المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

- الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

## سيل أبى شاكِر :

حدث عقب فراغ الناس من الحج سنة ١١٩هـ<sup>(١)</sup> .

وفى سنة ١٦٠هـ هطلت أمطار غزيرة على مكة سالت على أثرها أودية مكة وشعابها . ويقول الفاكهى : إن هذا السيل دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ، وهدم بعض الدور ، وملاً المسجد الحرام بالأتربة ، فأرسل الخليفة العباسى أموالاً إلى وإلى مكة لإصلاح ما أفسدته السيول ، وإصلاح ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإصلاح ردم الخزامية<sup>(٢)</sup> .

وفى سنة ١٨٤هـ أثناء خلافة هارون الرشيد هطلت أمطار غزيرة على مكة سالت على أثرها الأودية والشعاب ودخلت السيول فى المسجد الحرام ، وتصدع ردم عمر وردم الخزامية بسبب عدم إصلاحه ، وغرق أناس كثيرون<sup>(٣)</sup> . ويذكر الفاكهى فى كتابه المنتقى : إن الخليفة هارون الرشيد أمر بإصلاح ردم الخزامية وإعادة بناء الدور التى هدمها السيل<sup>(٤)</sup> .

## سيل ابن حنظلة :

وفى سنة ٢٠٢هـ فى خلافة المأمون ، حدث هذا السيل الذى امتد أثره إلى المسجد الحرام ، وأحاط بالكعبة وبلغ ارتفاعه حتى الحجر الأسود وهدم دوراً كثيرة ، وذهب بأناس كثيرين ونتج عنه مرض شديد أدى إلى موت بعض الناس . وعلى أثر ذلك أمر الخليفة ببناء «سد الثقبه» فى منطقة تقع بين جبل حراء وجبل الشية ، وأصبح يجدد دائها<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام : ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ١١٣ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

- الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٤) الفاكهى : المنتقى ، ص ١١٤ .

(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .



وفي سنة ٢٠٨ هـ هطلت أمطار غزيرة على مكة وارتفع الماء خلف السد، مما أدى إلى انفجاره، فخرج سيل عظيم والتحم مع بعض السيول التي خرجت من شعاب مكة متجهة إلى المسجد الحرام وأحاط بالكعبة وارتفع عن الحجر الأسود، وهدم بيوتا كثيرة. ويقول الفاكهي أن الناس مكثوا في بيوتهم يومين<sup>(١)</sup>، واضطر والى مكة إلى الاستعانة بسكانها لتنظيف المسجد الحرام من الطين والتراب الذي أحدثه السيل<sup>(٢)</sup>. فسارعوا إلى الاشتراك في حمل التراب لتنظيف المسجد الحرام<sup>(٣)</sup>. ولما بلغ خبر هذا السيل إلى الخليفة المأمون أرسل أموالا إلى والى مكة، لإصلاح السد، وإعادة بناء الدور التي خربها السيل<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٢٩٧ هـ حدث سيل وصلت مياهه داخل الحرم وغرق فيه أناس كثيرون، وأرسلت الأموال من الخليفة العباسي لإصلاح الخراب الذي أحدثه السيل في أركان البيت الحرام<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٣٤٩ هـ بسط الحجاج أمتعتهم استعدادا للرحيل بعد قضاء موسم الحج في وادي خارج مكة، فإذا بسيل يدهمهم ويقضى على حجاج الركب الشامي، أما بقية الحجاج فقد فروا واعتصموا بالجبال<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٤١٧ هـ هطل السيل ودخل الحرم ووصل إلى الحجر الأسود وأغرق دار إمارة مكة. فكان أول سيل يرتفع منسوبه إلى داخل دار الإمارة وقد استعان أمير مكة بالسكان لإصلاح ما خربه السيل<sup>(٧)</sup>.

---

(١) الصباغ: تحصيل المرام، ورقة ٢٤٣.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٦٣.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٣٨٧.

(٥) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٤٠.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٦) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٤١.

(٧) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٤٢.

وفي سنة ٥٢٨هـ هطلت أمطار غزيرة استمر هطولها سبعة أيام متواصلة أدت الى تصدع (سد الثقبه) وانفجاره فخرجت مياه السد ودمرت دورا كثيرة ودخلت المسجد الحرام<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٥٦٩هـ ارتفع منسوب الماء عن السد، فتصدع وأغرقت مياهه الحرم ودمرت الدور المحيطة بالحرم<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٥٩٣هـ حدث سيل ودخل المسجد الحرام وارتفع منسوب الماء إلى ما فوق الحجر الأسود وغرق المنبر<sup>(٣)</sup>. ويقول الفاكهي: أن الماء وصل منسوبه الى قناديل الحرم، وأن الناس طافوا سباحة حول الكعبة<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ٦٢٠هـ جاء سيل عظيم، ودخل المسجد الحرام وهلك فيه عدد كبير من الناس<sup>(٥)</sup>.

وفي عام ٦٥١هـ حدث سيل آخر يعد من أضخم السيول التي تعرضت لها مكة المكرمة، خلال تلك الحقبة الزمنية، مما جعل أمير مكة يهتم باعادة بناء السد ورفعته أكثر مما كان. ولقد استعان ببعض المهندسين من مصر لتخطيط بناء هذا السد وزيادة ارتفاعه ليكون أكثر فعالية في مقاومة مياه الأمطار الغزيرة<sup>(٦)</sup>.

ومما سبق يتضح لنا أن هذه السيول كانت تحدث الخراب في داخل المدينة، ومرجع ذلك إلى إهمال أمراء مكة، وعدم اهتمامهم بإصلاح السد الذي بني في عهد الخليفة المأمون، وكذلك عدم اهتمامهم بالقيام بأية مشروعات يستفاد، منها في حماية مكة من السيول الجارفة.

(١) الأزرقى: أخبار مكة: ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٤٣.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٤) الفاكهي: المتقى، ص ١١٩.

(٥) المصدر السابق: ص ١٢٢.

(٦) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٤٤.



### ٣ - توفير الطعام للحجاج في مكة المكرمة :

نظرا لوقوع مكة في واد غير ذي زرع ، فقد عمل أهلها منذ العصر الجاهلي بالتجارة من أجل توفير الطعام للحجاج ولسكان مكة المكرمة ، فحملوا القمح والدقيق والزيت من الشام ، والبلح والوبر والجلود والسمن والبخور من اليمن والقرى المجاورة لها ، وقاموا بتبادل تجارى كبير مع الفرس والروم<sup>(١)</sup> كما عقدت حول مكة الأسواق المختلفة لتوفير الطعام للحجاج الوافدين اليها<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن أصبحت مكة تابعة للدولة الإسلامية ، استمر القرشيون في الحفاظ على تجارتهم التى أصبحت لها أهمية كبرى فى حياتهم وحياة سكان مكة . فقد ارتبطت مصالحهم بتوفير الأطعمة المختلفة وجلبها إلى مكة عن طريق تجارة القوافل<sup>(٣)</sup>.

ولقد اهتم بعض سكان مكة بتوفير الأطعمة للحجاج فى الأسواق التى انتشرت حول المسجد الحرام فى مكة بعد أن كانت فى العصر الجاهلى فى عكاظ ومجنة وذو المجاز خارج حدود مكة<sup>(٤)</sup>.

وقد اهتم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بتجارة أهل مكة من أجل توفير الأطعمة للحجاج بعد أن أصبحت الشام والعراق ومصر تابعة للدولة الإسلامية . ففى عهده أصبحت الشعبية ميناء بحريا لمكة ، وأخذت السفن تجلب اليها البضائع والسلع من مصر واليمن وغيرها من البلدان المطلة على البحر الأحمر<sup>(٥)</sup>.

وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد بنى أمية وامتدت من شرقى آسيا

---

(١) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

(٢) ابن هشام : السيرة ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

(٤) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٥ ، ص ٦١٤ .

(٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ١٩ .

- احمد السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٧٣ .

- أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ١٦٢ .

إلى شمالي افريقيا أصبحت مكة سوقا تجارية كبرى وبخاصة في موسم الحج ، وذلك أن معظم الحجاج كانوا يقدون إليها لأداء فريضة الحج ولمبادلة ما يحملونه معهم من سلع ومتاجر<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير أن نشير إلى أن سكان مكة المكرمة اهتموا بالزراعة والرعى في المناطق ذات التربة الخصبة والمياه الوفيرة . وفي مقدمة هذه المناطق الأودية المجاورة لمكة ومنطقة الطائف<sup>(٢)</sup> ، وقد أمدتها هذه المناطق بالمواد الغذائية مثل القمح والشعير والتمور والفواكه ، وكذلك بما تحتاجه من الماشية أثناء موسم الحج<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٨٢ هـ انتشرت الأسواق في مكة وكان مقرها حول المسجد الحرام . فكان لكل فئة سوق خاص بها مثل سوق التمارين ، وسوق الجزارين وسوق الخطب ، وكانت هذه الأسواق قريبة من الدور التي يسكن فيها الحجاج وبها جميع ما يحتاجون اليه من الأطعمة<sup>(٤)</sup>.

هذا ولم تذكر المصادر شيئا عما قام به الخلفاء من توفير الطعام في مكة المكرمة الا وقت تعرضها للأزمات الاقتصادية بخاصة في موسم الحج .

ومن المعلوم أن سقوط الأمطار له أهمية كبرى في الزراعة بمنطقة الأودية التي تمد مكة بالمحاصيل الزراعية ، فهذه الأودية تعتمد اعتمادا كلياً على مياه الأمطار في زراعتها فاذا حدث وانقطع نزول المطر، أدى هذا إلى الجفاف، وبالتالي إلى نقص في الانتاج<sup>(٥)</sup>.

---

(١) النهروالى : الاعلام، ص ١٢٣.

- أحمد الشريف : مكة والمدينة، ص ٧٨.

(٢) الأزرقى : أخبار مكة، ج ١، ص ٧٨.

(٣) البتنوني : الرحلة الحجازية، ص ٣٥.

(٤) ابن فهد : تحاف الوري، ج ٢، ورقة ١١٩٧.

- ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٥) الفاسى : شفاه الغرام، ج ٢، ص ٢٥٣.



ولم يكن عدم نزول الأمطار وحده هو السبب في وجود أزمة اقتصادية بل كان هناك أسباب أخرى، منها الفتن الداخلية وسوء علاقة الأعراب سكان الطرق بالتجار الذين يأتون الى مكة مع ركب الحجاج<sup>(١)</sup>.

وإذا حاولنا استعراض الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مكة خلال هذه الحقبة الزمنية نجد أنها حدثت في فترات زمنية متقطعة ومتباعدة.

ففي سنة ٧٣هـ حدثت الحرب مع عبدالله بن الزبير التي أدت الى ارتفاع الأسعار في أسواق مكة وأصاب الناس بسبب ذلك جوع شديد<sup>(٢)</sup>. يقول الفاكهي في كتابه المنتقى: إن سعر الدجاجة بلغ عشرة دراهم وأن الذرة اختفت من الأسواق<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٢٥١هـ قطع بنو عقيل الطرق المؤدية الى مكة وكانت بينهم وبين أهل مكة حرب أدت الى ارتفاع شديد في الأسعار، ولقى أهل مكة كل بلاء بسبب هذه الحرب، فبلغ رطل اللحم أربعة دراهم ورغيف الخبز درهمين<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٢٦٠هـ عم الغلاء جميع بلاد المسلمين مما كان له أثر بالغ على سكان مكة لأنه ساعد على ارتفاع الأسعار. وسبب هذا الغلاء الفتنة التي حدثت في الموصل في خلافة المعتمد وامتناع أهل السواد، عن دفع الخراج الى الدولة، وكذلك الفتنة التي حدثت في أذربيجان وبلاد المغرب<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٢٦٨هـ غلت الأسعار بمكة، والسبب في ذلك يعود إلى حادث

---

(١) ابن فهد: التحاف الوري، ج٣، ورقة ٢١٠.

- القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠١.

- النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٧٠.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٥٩.

(٣) الفاكهي: المنتقى، ص ١٣٨.

(٤) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٣٠.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٦٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٢٧٣.

المخزومي<sup>(١)</sup>. فقد اعتدى المخزومي على قوافل الحجاج ونهب قوافلهم خارج مكة، حتى أنه أحرق بعض بيوت الأعراب التي تسكن وادي نخلة، وبسبب ذلك ارتفع سعر الخبز حتى أصبح ما مقداره أوقيتان بدرهم، ولم يتم القضاء على هذه الحركة إلا بعد موسم الحج. إذ استطاع ابن أبي الساج القضاء عليه لأنه كان يتولى امانة البريد في الطرق<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٤٤٠ هـ أدت الخلافات والصراعات التي نشأت بين أفراد البيت البويهي الذي أسفر عن تفتت هذه الأسرة فعم الغلاء بعض أمصار الدولة الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

وفي أواخر سنة ٤٥٠ هـ استنجد الخليفة العباسي بطغرليك السلجوقي ليساعده في طرد البساسيري الذي دخل بغداد في السنة السابقة وأعلن الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله واستطاع طغرليك دخول بغداد.

وهرب البساسيري وبدأ عصر السلاجقة، كما عادت بغداد إلى الخلافة العباسية، وقد أدت هذه الخلافات إلى غلاء الأسعار في كل من بغداد والشام ومصر، وعم هذا الغلاء حتى وصل إلى مكة. ويقال أنه تعذر وجود الخبز في مكة<sup>(٤)</sup>.

وفي العام التالي انخفض منسوب النيل، فلم ترسل مصر الغلات المعتادة التي كانت ترسلها إلى الحجاز مما ساعد على ارتفاع الأسعار<sup>(٥)</sup>، كما ساهم في هذا الغلاء، وفي ارتفاع الأسعار في مكة حدوث الفتنة الصليحية باليمن، فلم ترسل اليمن غلاتها<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٥٦٧ هـ اعتدى الصليبيون على بعض مدن الشام، ولم تصل إلى مكة في

---

(١) المخزومي: هو ابو المغيرة المخزومي ترأس حركة الخوارج سنة ٢٦٨ هـ

أنظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق: ج ٩، ص ٦١٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١٠، ص ٤٣.

(٥) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٣٨.



هذه السنة المؤونة الكاملة من الغلال بسبب احداث الشام فبلغ المد<sup>(١)</sup> من الحب ديناراً، ولم تنته هذه الأزمة إلا في شهر شوال، حينما وصلت الصدقات التي أرسلها صلاح الدين من مصر الى مكة فأحيت المسلمين وفرجت عنهم<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٥٦٩هـ ارتفعت الأسعار في مكة حتى أن صاع<sup>(٣)</sup> الحب بلغ ديناراً، ومات عدد كبير من الناس والمجاورين بمكة بسبب عدم وجود الطعام . وحينما علم الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي أمر بارسال الصدقات لأهل مكة والمجاورين فانخفضت الأسعار بعد وصول هذه الإمدادات<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٦٠٠هـ حدث بمكة غلاء شديد كان سببه أن مصر لم ترسل إلى الحجاز الغلال التي كانت ترسلها، ويرجع السبب في ذلك إلى تعرض مصر لموسم الجفاف وانشغال المصريين ببعض الفتن حتى أن الغلاء عم مصر نفسها<sup>(٥)</sup>.

### توفير السكن للحجاج في مكة المكرمة :

#### أ - سكن الحجاج في دور أهل مكة :

من المعلوم أن سكان مكة كانوا يهتمون باسكان الحجاج منذ زمن قصي بن كلاب، وأن هذه العادة استمرت في أبناء قصي بعد موته، وكان لكل بطن من بطون قريش ربع<sup>(٦)</sup> خاص بها مثل رباع بني مخزوم وحلفائهم ورباع بني تميم وحلفائهم.

---

(١) المد: يساوي ٢٨ كيلة، مفكرة مكة المكرمة، ١٣٩٧هـ .

- الزبيدي: تاج العروس، مادة مد.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٧٥.

(٣) الصاع: يساوي القدح، مفكرة مكة المكرمة، ١٣٩٧هـ .

- الزبيدي: تاج العروس، مادة صاع.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٨٠.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٦٠.

- أبوالمحسن: النجوم، ج ٦، ص ١٢١.

(٦) الرباع مشتق من الربع وهو المكان المعد لسكن القبيلة.

- انظر الأزرقى: أخبار مكة، ج ١، ص ١٨.

وكانت مكة موزعة حسب سكانها القرشيين إلى مناطق، فكان رباع بنى عبدالمطلب بن هاشم في منطقة الشعب، ورباع بنى عبدالمناة بفوهة شعب بنى عامر، ويقال أن بنى بكر سكنوا هذا الشعب، ورباع بنى عبدشمس في المدعاة، وفيها دار أبى سفيان، ورباعى ابن أبى العيص قرب شعب بنى عامر بالمعلا<sup>(١)</sup>.

وكان لكل أسرة قرشية أن تسكن من يفد إليها من القبائل العربية بلا عطاء في رباعها الخاص بها. أما القبائل العربية التي كانت تفد إلى مكة في فترة موسم الحج، ولم يكن لها حلفاء، من أهل مكة أو القبائل التي استوطنت مكة فإنهم كانوا يسكنون في مضارب الخيام التي يقومون بعملها في أعلى مكة في منطقة الأبطح<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن تم للرسول صلى الله عليه وسلم، فتح مكة أصبح يفد إلى مكة حجاج من جميع أنحاء الجزيرة العربية ويستقبلهم أهل مكة، بعد أن زادت مساحتها العمرانية في دورهم<sup>(٣)</sup>. ونتيجة للفتوحات التي تمت في العصر الأموي، توسعت رقعة الدولة الإسلامية وأصبح يفد إلى مكة حجاج كثيرون من جميع أمصار الدولة الإسلامية، وكان هؤلاء الحجاج يسكنون في بيوت أهل مكة بلا مقابل<sup>(٤)</sup>.

ولما آلت الخلافة إلى البيت العباسي حرم خلفاؤها على أهل مكة إيجار بيوتهم للحجاج لأن أبا حنيفة رضى الله عنه كان يجد كراهية في إيجار بيوت مكة للحجاج مستندا في رأيه إلى الحديث الشريف: (عن عبدالله بن زياد عن أبى نجيح عن عبدالله بن عمر عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أكل من أجور بيوت مكة شيئا فكأنها أكل نارا<sup>(٥)</sup>).

وروى أيضا عن أبى حنيفة رضى الله عنه، أنه كره إيجار البيوت للحجاج لأن لهم

---

(١) جواد على: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٤٠٥.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج ١، ص ١٦٨.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٧٠.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة، ج ١، ص ١٧٦.

- محب الدين الطبري: القرى لقاصد أم القرى، ص ٩٨.

(٥) محمد أبوزهرة: أبو حنيفة، ص ٧٣.



ضرورة في النزول والاقامة مستندا على قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأهل مكة (لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادى حيث شاء) . ويحذروهم من أن يغلقوا بابا دون الحجاج ، لأن الحاج حينما يقصد مكة له أن ينزل في أى بيت يراه خاليا<sup>(١)</sup> .

ويؤكد هذا القول الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ، حينما كتب الى عاملة في مكة ، عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد يأمره بأن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوتهم أجرا من الحجاج وألا تغلق أبوابها ، مستندا على أن مكة لم تفتح عنوة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم ، أقرها على ألا تباع ولا تؤجر ، ولذلك اعتاد سكان مكة ألا يضعوا على مداخل مساكنهم أبوابا ، وأن يستقبلوا الحجاج في دورهم من غير أجر الى أن قامت حادثة القرامطة<sup>(٢)</sup> .

وعندما ضعفت الخلافة العباسية ، قلت الأعطيات التى ترسل من قب الخلافة الى سكان مكة ، بدأ أهل مكة يطلبون أجرا عن سكن الحجاج في دورهم ، مما جعل بعض التجار والعلماء والأمراء والوزراء والسلطين يقومون ببناء أربطة لاسكان الحجاج الفقراء .

### ب - الأربطة ودورها في اسكان الحجاج :

لقد نشط بناء الأربطة في مكة المكرمة منذ سنة ٤٠٠ هـ ، فلم تذكر المصادر أن الأربطة أقيمت في مكة قبل هذا التاريخ لاستقبال الحجاج للاقامة فيها أثناء موسم الحج . وأقدم هذه الأربطة التى تذكرها المصادر هى :

#### رباط السدرة :

كان هذا الرباط يقع عند باب بنى شيبه<sup>(٣)</sup> ويذكر الفاسى أنه تم بناؤه في سنة ٤٠٠ هـ ، ولم يذكر شرط وقفه ولا من الذى أوقفه<sup>(٤)</sup> .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٣) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٤) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

## رباط دار الخيزران :

ودار الخيزران كانت تقع قرب الصفا، وأصبحت رباطا فيما بعد، ولا يعرف من جدد بناءها<sup>(١)</sup>. ويذكر الفاكهي في كتابه المنتقى : أنها أوقفت سنة ٤٠٢ هـ<sup>(٢)</sup>، ويقول النهر والى بأن الذي أوقفها والى مكة، وأنها كانت مخصصة لاقامة الحجاج في فترة الموسم<sup>(٣)</sup>.

## رباط الفقّاعية :

أوقف سنة ٤٩٢ هـ ، ويقال أن الذي أوقفه الخليفة المقتدى بالله العباسي وشروط وقفه على الأرامل والمنقطعات اللاتي يسكن مكة . ولم يذكر شرط وقفه أنه أوقف لكي يكون مسكنا للحجاج فترة الموسم<sup>(٤)</sup>.

## رباط القزويني :

كان يقع قرب المسجد الحرام ، وقد أوقف سنة ٥٢٩ هـ ولم يعرف من الذي أوقفه، وإنما شرط وقفه على جميع الرجال الغرباء المقيمين في مكة وسائر أنحاء العراق، كما أنه كان ينزل فيه حجاج قزوين<sup>(٥)</sup>.

## رباط الدمشقية :

أنشأ هذا الرباط تجار مدينة دمشق ، وسمى رباط الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة، ج ١، ص ١١٨ .

(٢) الفاكهي : المنتقى، ص ٨٤ .

(٣) النهر والى : الاعلام، ص ١٩٨ .

- ابن ظهيرة : الجامع اللطيف، ص ٧٨ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ١٠٩ .

(٥) الصباغ : تحصيل المرام، ورقة ١٦٣ ب .



حاضرة الشام . وقد أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩هـ وشرط وقفته على الفقراء من أهل دمشق والعراق والعلماء المجاورين في مكة والحجج<sup>(١)</sup>.

### ربط الزرندی :

أوقف هذا الرباط الشيخ نجيب الدين أبوالحسن محمد الزرندی، من أهل زرنده<sup>(٢)</sup> على أهل ساوه<sup>(٣)</sup>، وأهل زرنده المقيمين في مكة . وللحجج القادمين من بلاد فارس، لهم حق في الإقامة فيه فترة موسم الحج<sup>(٤)</sup>.

### رباط المغاربة :

في سنة ٥٦٢هـ أوقف مجموعة من أهل المغرب رباطاً<sup>(٥)</sup>. ويقول الفاكهي : إنهم مجموعة من التجار بنوا رباطاً بمنطقة السوق الصغير، المقابل للحرم للمقيمين في مكة من طلبة العلم الرجال دون النساء يسكنون فيه، وللحجج المغاربة حق السكن في هذا الرباط في فترة الموسم<sup>(٦)</sup>. وقد ذكر لي أحد المعمرين بمكة أن هذا الرباط كان موجوداً أمام باب إبراهيم عليه السلام، أحد أبواب الحرم الشريف قبل التوسعة الأخيرة التي قام بها المرحوم الملك عبدالعزيز بن سعود (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) وكان باب إبراهيم عليه اللاسم قبالة السوق الصغيرة. وبذلك يكون هذا الرباط قد أزيل ضمن ما أزيل من مدارس وأربطة وتكايا وسبل ودور مجاورة للحرم في هذه التوسعة.

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٠.

- النهروالي : الاعلام، ص ٢٠٠.

(٢) زرنده : بلدة تقع بين أصفهان وساهو وهي مدينة قديمة وكبيرة، من أعيان مدن كرمان . انظر ياقوت : معجم، ج ٣، ص ١٣٨.

(٣) ساوه : بلدة تقع بين الري وهمدان بالقرب من مدينة يقال لها : أوه.

انظر ياقوت : معجم، ج ٣، ص ١١.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ١١١.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١١٢.

(٦) الفاكهي : المتقى، ص ٩١.

### رباطة الحضارمة :

استطاع تجار وأهالي حضرموت، أن يبنوا رباطا سنة ٥٧٠هـ ليكون سكنا لمن يقيم في مكة من طلبة العلم، وللحجاج القادمين من حضرموت ويقع هذا الرباط في منطقة أحياد<sup>(١)</sup>، وقد جدد بناء هذا الرباط في العصر الحديث، ولا يزال الحجاج الحضارمة ينزلون فيه في موسم الحج حتى الآن.

### رباط المراغى :

في سنة ٥٧٥هـ أوقف قاضي القضاة، أبوبكر محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المراغى رباطا عند باب الجنائز، وكان شرط وقفه على الصوفية الزهاد، الذين يسكنون مكة من العرب، ولم تذكر المصادر أنه كان سكنا للحجاج في فترة الموسم<sup>(٢)</sup>.

### رباط البخارية :

في سنة ٥٧٦هـ أوقف مجموعة من تجار مدينة بخارى رباطا في مكة المكرمة، بمنطقة السوق الصغير، وجعلوه وقفا لحجاج بلاد بخارى، ولا يسكنه أحد سوى الحجاج الفقراء، في فترة الموسم. وقد جدد بناء هذا الرباط في العصر الحديث، غير أنه لا يستخدم الآن رباطا لنزول حجاج البخارية ولتجار بخارى عدة أربطة أكثرها في المسفلة، لا نعرف متى أوقفت ولا من الذي أوقفها، وهذه الأربطة تبلغ مجموعها عشرة أربطة<sup>(٣)</sup>، لا يزال موجودا منها حتى اليوم خمسة أربطة اثنان منها في حالة متداعية، والثلاثة الأخرى جدد بناؤها وينزل فيها حجاج البخارية.

### رباط الخاتون :

وفي العام التالي لوقف رباط البخارية أوقفت الخاتون، الشريفة فاطمة رباطا

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٢.

(٢) الفاكهي: المنتقى، ص ٨٦.

(٣) السفلة: أحد أحياء مكة.

الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٢.



سمى باسم الخاتون، وعرف فيما بعد برباط ابن محمود، ويقع عند باب العمرة. وشرط وقفته على الصوفية من العرب والعجم، كما كان سكنا للحجاج من الصوفية القاصدين مكة لأداء الحج<sup>(١)</sup>.

### رباط قايماز :

أوقف هذا الرباط سنة ٥٧٨هـ الأمير قايماز بن عبد الله بن قليج أرسلان الشامي السلجوقي من أمراء سلاجقة الروم<sup>(٢)</sup> في منطقة المعلاة وشرط وقفته أن يكون سكنا للمقيمين في مكة م الأحناف، وللحجاج الأحناف في فترة الموسم<sup>(٣)</sup>.

### رباط الزنجبيلي :

في سنة ٥٧٩هـ أنشأ عثمان بن علي الزنجبيلي نائب أمير عدن عند باب العمرة رباطا أوقفه على الأحناف المقيمين بمكة وجعل في شرط وقفته أن يكون سكنا للحجاج القادمين من عدن في فترة موسم الحج<sup>(٤)</sup>.

### رباط المغارية (رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)<sup>(٥)</sup>:

ويوجد أيضا حتى وقتنا الحاضر، أى بعد التوسعة الأخيرة للحرم الشريف رباط «بالسوق الصغير» يعرف برباط المغاربة، كما يعرف الزقاق الذى يوجد فيه بزقاق المغاربة. وهذا الرباط وإن كان قد جدد الا أنه لا يزال يوجد فوق مدخله اللوحة التأسيسية الخاصة ببنائه. وهى مكتوبة بالخط النسخ الواضح تقرأ على هذا النحو:  
(١) بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله.

(١) الرشيدى: حسن الصفا، ورقة ١٧٣.

- النهروالى: الاعلام، ص ٢٠١.

(٢) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأمراء الحاكم، ج ١، ص ٣٢١.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١١٤.

(٥) يعرف هذا الرباط عند أهل مكة برباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، وربما يرجع ذلك الى أن دار سيدنا عثمان كانت موجودة في هذا المكان.

(٢) هذا ما وقف وحبس وسبل وتصدق به القاضى الفقيه الموفق المكين الأمين جمال الدين .

(٣) ولى أمير المؤمنين أبوالحسن على بن القاضى السعيد الأيمن أبى القاسم عبدالوهاب بن الشيخ أبى عبدالله محمد .

(٤) ابن أبى الفرج العدل بالأعمال المصرية رضى الله عنه ، وقف وحبس وسبل وتصدق بجميع هذا الرباط .

(٥) على فقراء المغرب الغرباء المتعبدین ذوی الحاجات المجردین ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب .

(٦) تقبل الله ذلك منه وأثابه عليه بالاحسان وقف ذلك وحبسه بجميعه حقوقه وقفا صحيحا .

(٧) (١) فمن غير ذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين  
وجرى ذلك في سنة أربع وستمئة<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا النقش يتضح لنا أن هذا الرباط بناه أحد قضاة مصر جمال الدين أبوالحسن على بن القاضى أبى القاسم عبدالوهاب بن الشيخ أبى عبدالله محمد بن أبى الفرج ، وأنه أوقفه وتصدق به على فقراء المغرب الغرباء المتعبدین ذوی الحاجة المجردین فقط ، وأنه ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب .

ويبدو أن هذا القاضى المصرى كان من أصل مغربى ، وكان بناء هذا الرباط سنة ٦٠٤ هـ ، وقد عاينت هذا الرباط من الداخل والخارج ، ووجدت في داخله بئر لا يزال باقيا حتى الآن ، غير أنه لم يعد مستعملا منذ عهد قريب بسبب توفير المياه الصحية في مكة ، ووجود هذه البئر داخل الرباط يوضح كلمة «سبل» التى وردت في السطرين الثانى والرابع من هذا النقش . ولا يزال فقراء المغاربة الغرباء الذين يفدون الى مكة ينزلون به حتى وقتنا الحاضر .

(١) لم استطع قراءة هذه الكلمات الموجودة في بداية السطر السابع من هذا النقش .

(٢) انظر النقش الخاص بهذا الرباط .



ومن هذا العرض السابق يتضح لنا أن هذه الأربطة التي أقيمت في مكة في الفترة الزمنية لموضوع بحثنا لا يوجد منها حتى الآن سوى ثلاثة أربطة، وهي رباط المغاربة، ورباط البخارية، ورباط الحضارمة، وجمعها قد جدد بناؤها.

### المدارس في مكة ودورها في اسكان الحجاج :

من المعروف أن إنشاء المدارس ذات الأروقة الأربعة بدأ ينتشر في مدن العالم الإسلامي بعد إنشاء الوزير نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد، فقد انتشر في القرن السادس الهجري إنشاء المدارس من هذا الطراز لتدريس المذاهب الأربعة على غرار المدرسة النظامية<sup>(١)</sup>.

وهذه المدارس وإن كانت مهمتها تعليمية بحتة، إلا أنها ترتبط بموضوع البحث من حيث أنها تستخدم في موسم الحج سكناً للحجاج الذين كانوا ينزلون في الغرف الملحقة بها ويحضرون ما كان يعقد فيها من حلقات علمية<sup>(٢)</sup>. كما كانت هذه المدارس تخصص لاستقبال ضيوف أمير مكة وأمرأء الحج فترة الموسم<sup>(٣)</sup>.

وقد بدأ التعليم في الحجاز منذ صدر الإسلام، فقد اشتغل بالتدريس في مكة عدد غير قليل من التابعين في الحرم المكي، وكان ذلك بداية لنشوء الحركة العلمية<sup>(٤)</sup>.

وكانت الصدقات تفد من جميع أنحاء العالم الإسلامي إلى هؤلاء العلماء وإلى من كان ينتسب إلى حلقاتهم العلمية من الطلبة والمجاورين الذين يقيمون في الأربطة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٣، ص ١٥٨.

(٢) النهر والى: الاعلام، ص ٧٨.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٩٣.

(٤) النهر والى: الاعلام، ص ٨٠.

- إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٦٣.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٩٨.

ولا ننس فريضة الحج التى كان يحىء لأدائها علماء كثيرون من مختلف الأقطار كانوا يلتقون فى مكة ويتدارسون فيما بينهم ويتأخذون عن بعضهم الحديث والتفسير واللغة، وكان بعضهم يطيب له المقام فى مكة فى هذه المدارس والأربطة من أجل العبادة والدراسة والتدريس<sup>(١)</sup>.

وفى بداية القرن السادس الهجرى أنشئت المدارس فى مكة على غرار المدرسة النظامية، وكان يدرس فيها نخبة من الأساتذة تخرجوا على أيدى علماء خلائق الدرس بالمسجد الحرام، وكانت الدراسة تهتم بعلوم الدين (الحديث، التفسير، الفقه، علوم التصوف، والعلوم العربية)، وأما باقى العلوم فلم يكن لها نصيب فى الدرس<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن للخلفاء العباسيين والأمراء والوزراء مآثر جليلة فى مكة المكرمة، وأوقافا محبوسة على وجوه البر المختلفة. وقد ذكرنا الأربطة التى أوقفت فى مكة، وأوضحنا مدى أهميتها فى اسكان الحجاج فترة موسم الحج. أما المدارس فقد بدأ العلماء والوزراء يهتمون بإنشائها فى أواخر العصر العباسى. كما أن الخليفة المستنصر بالله العباسى أنشأ البيمارستان المستنصرى فى سنة ٦٢٨هـ فى الجانب الشمالى للمسجد الحرام<sup>(٣)</sup>، وفيما يختص بالمدارس فقد أنشئت جميعها حول الحرم المكى، وفيما يلى ذكر لما أنشئ منها فى فترة موضوع هذا البحث..

### مدرسة الأرسوفى :

أنشئت سنة ٥٧١هـ وسميت بمدرسة الأرسوفى نسبة الى العفيفى عبدالله بن محمد الأرسوفى. وكانت تقع عند باب العمرة، وقد بنى بجوارها رباطا أوقفه لسكن طلبة المدرسة<sup>(٤)</sup>. ويقال أنه كان يقع فى جهة الشبيكة<sup>(٥)</sup>.

(١) الفاسى : العقد الثمين، جـ ٢، ص ١٠١.

(٢) ابن فهد : تحاف الورى، جـ ٣، ورقة ٢١٥أ.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ١١، ص ٦٧٣.

(٤) الفاكهى : المنتقى، ص ٩١.

(٥) الفاسى : شفاء الغرام، جـ ١، ص ١٥٦.



### مدرسة الزنجبيلي :

في سنة ٥٧٩هـ أنشأ الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجبيلي نائب عدن مدرسة عند باب العمرة وخصص هذه المدرسة لتدريس الفقه الحنبلي والتفسير<sup>(١)</sup>، ولقد أنشأ بجوارها رباطه المعروف وكان من شروط وقفه أن يكون سكنا للطلاب والحجاج<sup>(٢)</sup>.

### مدرسة طاب الزمان :

أسست سنة ٥٨٠هـ في الوضع المعروف بدار زبيدة وتنسب هذه المدرسة الى طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة المستضيء بالله العباسي . وكانت هذه المدرسة مخصصة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي ، وقد أوقفت على فقهاء الشافعية المقيمين في مكة المكرمة<sup>(٣)</sup>.

### مدرسة ابن أبي زكريا :

أسسها على بن أبي زكريا الملقب بأبي طاهر المؤذن سنة ٦٣٥هـ ، وكانت تقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام . هذا ولم يذكر شيء عمن كان يدرس بها<sup>(٤)</sup>.

### مدرسة ابن الحداد المهدوي :

أسست سنة ٦٣٨هـ قرب مدرسة الأرسوفي ثم عرفت بعد ذلك باسم مدرسة الأشراف ، وقد خصصت لتدريس المذهب المالكي<sup>(٥)</sup> . ويقول الفاكهي أن الذي أوقفها جماعة من أهل المغرب تبرعوا ببنائها، وإنما نسبت إلى أبي الحداد لأنه هو الشيخ الذي كان يقوم بالتدريس بها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) النهروالي: الاعلام، ص ٧٩.

(٢) الأسدي: أخبار الكرام، ورقة ٩٠ ب (مكتبة الحرم المكي).

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٥٦.

- الفاكهي: المنتقى، ص ١٠٥.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٥٧.

(٥) الفاكهي: المنتقى، ص ١٠٦.

(٦) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٦٠.

## المدرسة المظفرية :

أسست سنة ٦٤١هـ وكانت تقع قرب باب العمرة وتشرف نوافذها على المسجد الحرام ، ولقد عرفت بالفخرية أو بمدرسة الشلاج ، ثم عرفت أخيرا بالمدرسة المنصورية أو مدرسة السلطان<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هذه الأسماء كانت تطلق عليها نسبة الى اسم واقفها أو لقبه أو اسم الذي قام ببنائها. فلقد سميت بالمظفرية نسبة الى الملك المظفر والد الأمير فخر الدين ، وبالفخرية نسبة الى الأمير فخر الدين الشلاج أمير مكة ، وبالمنصورية نسبة الى الملك المنصور على بن عمر بن رسول صاحب اليمن لأنه أمر ببنائها. وقد خصصت هذه المدرسة لتدريس الفقه الشافعي<sup>(٢)</sup>. وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته حينما أتى لفريضة الحج ، وذكرها باسم المدرسة المظفرية<sup>(٣)</sup>. وكان لهذه المدرسة بركة وسبيل بجوارها أوقفه الملك المنصور صاحب اليمن ، ويقال أن هذه المدرسة في سنة ٦٤٥هـ كانت مقرا للملك المنصور وزوجته حينما أتيا لأداء فريضة الحج وأن زوجته أمرت بحفر بئر بها لانتفاع الطلاب من هذه البئر في سقياهم<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٦٤٢هـ أمر الخليفة العباسي المستنصر لدين الله بإنشاء مكتبة في هذه المدرسة وأرسل الأموال من بغداد لهذا الغرض<sup>(٥)</sup>.

## المدرسة الشرايية :

أسس هذه المدرسة سنة ٦٤١هـ الأمير شرف الدين الشرايي المستنصري العباسي وكانت تقع عند باب السلام<sup>(٦)</sup>. ولم يذكر الفاسي في كتابه شفاء الغرام شيئا عنها،

(١) ابن فهد: تحاف الوري، جـ ٢، ورقة ١١٨.

- ابن الضيا: قرة العيون، جـ ٢، ص

(٢) ابن فهد: تحاف الوري، جـ ٢، ورقة ١١٩.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٣٩ (٣).

- الفاكهي: المتقى، ص ١٠٦.

(٤) - النهروالي: الاعلام، ص ٨١.

(٥) ابن الأثير: الكامل. جـ ١٢، ص ٦٧٥.

- النهروالي: الاعلام، ص ٨٢.

(٦) ناجي معروف: المدارس الشرايية، ص ٣٣٠.

غير أن صاحب كتاب اتحاف الوري ذكر بأنها كانت موجودة سنة ٩٨٨هـ<sup>(١)</sup>. وبيجوار مدرسته هذه بنى رباط سمي برباط الشرابي، ذكره ابن بطوطة في رحلته، كما أشار الى وجود هذه المدرسة<sup>(٢)</sup>.

وتتكون هذه المدرسة من طابقين، الطابق السفلي منها عبارة عن حجرات صغيرة تشبه الخلاوي، والعلوي عبارة عن حجرات كبيرة لإقامة الدرس<sup>(٣)</sup> وقد لاحظ الدكتور ناجي معروف مؤلف كتاب المدارس الشرايية الذي قام بأداء فريضة الحج عام ١٣٦٥هـ وزار المنطقة التي كانت تقع فيها هذه المدرسة أنه وجد بقايا بعض المباني التي تشبه شرايية بغداد في التصميم، كما وجد بعض الزخارف على بعض الجدران تشبه الزخارف الموجودة بالمدرسة الشرايية ببغداد<sup>(٤)</sup>. ولقد استطاع من خلال ملحوظاته هذه أن يتعرف على هذه المدرسة التي أهملها مؤرخو تاريخ مكة.

ولقد اهتم الشرابي بهذه المدرسة، إذ أسس بها مكتبة وأوقف عليها كتباً كثيرة وجعل هذه المدرسة متخصصة في تدريس المذاهب الأربعة، الى جانب دروس النحو والأدب، وكانت الدراسة فيها على نظام المدرسة النظامية، وكان طلاب هذه المدرسة من العرب والعجم<sup>(٥)</sup>.

ولقد أوقف لهذه المدرسة أوقاف كثيرة بوادي نخلة، ووادي مر، وأن حصيلة هذه الأوقاف كانت ترسل الى هذه المدرسة ليتم توزيعها على المدرسين والطلبة بها<sup>(٦)</sup>. وليس ثمة شك في أن هذا العمل الذي قام به شرف الدين الشرابي في عهد الخليفة العباسي المستنصر انما يدل على حبه للعلم وطلابه.



(١) ابن فهد: اتحاف الوري، ج ٢، ورقة ٢٧٥.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٤٢.

(٣) النهروالي: الاعلام، ص ١٦٩.

(٤) ناجي معروف: المدارس الشرايية، ص ٢٣١.

(٥) النهروالي: الاعلام، ص ١٧١.

(٦) ابن فهد: اتحاف الوري، ج ١، ورقة ١٧٨.

- ابن بطوطة: الرحلة، ص ١٥٣.

- ناجي معروف: المدارس الشرايية، ص ٤٣٤.



### الفصل الثالث

خدمات الحجاج ومرافق الحج في أمكنة المشاعر

- ١ - توفير الإقامة وتأمين الطعام للحجاج في المشاعر:
  - أ - عرفة.
  - ب - مزدلفة.
  - ج - منى.
- ٢ - توفير المياه.
- ٣ - إعطيات الخلفاء لولاية مكة.



## توفير الإقامة وتأمين الطعام للحجاج في المشاعر:

يؤدي الحجاج نسكهم في وقت مخصوص في أمكنة معروفة. ولقد حدد القرآن الكريم والسنة الشريفة هذا الوقت المخصص والأمكنة المعلومة وهي تعرف بالمشاعر.

ففي اليوم السابع من شهر ذي الحجة من كل عام يبدأ الحجاج استعدادهم للرحيل من مكة المكرمة حيث تبدأ قوافل الحجاج في نقلهم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة إلى منى<sup>(١)</sup>. ويسمى هذا اليوم بيوم التروية<sup>(٢)</sup>. وقبل صلاة العصر يصل الحجاج إلى منى حيث يمكنون بها في المخيمات التي أعدها لهم أهل مكة. وفي منى يؤدي الحجاج صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيتون فيها.

وفي صباح اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، بعد صلاة الفجر في مسجد الخيف بمنى، يرحل الحجاج قاصدين عرفة. وفي طريقهم يخترقون وادي محسر ثم مزدلفة ثم وادي عرنة ثم يدخلون عرفة<sup>(٣)</sup>. وهناك ينزلون بالخيام التي أعدها أهل مكة لإقامتهم بها في ذلك اليوم، وتعد عرفة أول مشاعر الحج.

### أ- عرفة:

وتقع في شرق مكة المكرمة وهي عبارة عن منطقة منبسطة وفسيحة من الأرض تحيط بها الجبال، وتوجد على أطرافها صخور وهضاب<sup>(٤)</sup>. وتعرف باسم عرفة أو عرفات، فهما اسمان لموضع واحد، وهناك أكثر من رواية في سبب تسميتها بذلك، فيذكر لنا ياقوت بأن سبب تسميتها يعود إلى قصة جبريل وإبراهيم عليهما

(١) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٨٠.

- الفاسى: العقد الثمين، ج ١، ص ٩٥.

(٢) يعرف اليوم الثامن من شهر ذي الحجة بيوم التروية لتزود الحجاج بالماء في هذا اليوم.

(٣) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٨١.

- الفاسى: العقد الثمين، ج ١، ص ٩٧.

(٤) الاضطخري: مسالك الممالك، ص ٢٥.



السلام، فحينما عرّف جبريل عليه السلام، ابراهيم عليه السلام، المناسك وأوقفه بعرفة قال له: عرفت؟ قال: نعم. فسميت عرفة<sup>(١)</sup>.

وهناك رواية أخرى في سبب التسمية حيث يعتقد بأن آدم عليه السلام وحواء تعارفا بها. ويقال أيضا بأن الناس يعترفون بذنوبهم فيها ولذلك سميت عرفة<sup>(٢)</sup>.

وبعد وصول الحجاج الى عرفة في صبيحة اليوم التاسع من ذي الحجة يمكنون بها حتى غروب شمس ذلك اليوم. وغالبا ما كان يصل أهل مكة إلى عرفة قبل الحجاج ليضربوا لهم الخيام من أجل إقامتهم فيها. ولا يكون الحاج حاجا الا إذا شاهد الوقوف بعرفة، ففي الحديث الشريف: (الحج عرفة)<sup>(٣)</sup>. وفي يوم عرفة يلقي أمير الحج خطبة على الحجاج يوضح لهم فيها المناسك ويشرح لهم عظمة يوم عرفة<sup>(٤)</sup>. ويجمع أمير الحج بين الظهر والعصر في وقت الظهر جمع تقديم وقصر<sup>(٥)</sup>. ولا ينفر الحجاج إلى مزدلفة الا بعد أن يأذن لهم الحج بالنفرة بعد غروب الشمس<sup>(٦)</sup>. ويتقدم أمير الحج جميع ركبان الحج سالكا طريق خب. ولقد روى بأن طريق خب هو الطريق الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع. ومن المفيد أن نشير الى أن طريق خب هو أقرب الطرق للنافر من عرفة الى مزدلفة، التي تعد ثاني أمكنة المشاعر.

## ب - مزدلفة :

وتقع بين عرفة ومنى ويفصلها عن منى وادي محسر، في داخل حدود حرم مكة المكرمة، ولهذا تسمى بالمشعر الحرام. وتعرف مزدلفة باسم جمع. ويروى بأن

(١) ياقوت : معجم، ج ٤، ص ١٠٤.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، مادة عرفة.

(٣) على المالكي: الشافى الصغير، ورقة ٦٣ ب.

(٤) الجزيري: درر الفوائد، ص ٧٨.

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٩٨.

(٥) على المالكي: الشافى الصغير، ورقة ١٦٤.

(٦) الجزيري: درر الفوائد، ص ٧٩.

تسمية مزدلفة مأخوذ من الأزدلاف. ويقال من الاقتراب، وقيل أيضا لازدلاف آدم وحواء بها أى لاجتماعهما<sup>(١)</sup>. ويضيف الزبيدي قوله بأنها سميت بمزدلفة لنزول الناس بها فى زلفى الليل، وأنها سميت جمع لاجتماع الناس بها<sup>(٢)</sup>. بينما يذكر ياقوت بأنها سميت مزدلفة لجمع الحجاج صلاتى المغرب والعشاء بها<sup>(٣)</sup>.

ويصل الحجاج إلى مزدلفة بعد نفورهم من عرفات، وتعد مبيتا لهم. وفيها تجمع وتقصّر صلاتى المغرب والعشاء<sup>(٤)</sup>. ويمكن بعض الحجاج بمزدلفة حتى بعد صلاة الفجر ومنها يلتقط الحجاج حصى الجمرات. هذا ويستحب النزول بها دون جبل قزح<sup>(٥)</sup>. ويذكر الفاسى بأن القصد من توقف الحجاج فى مزدلفهم إشعارهم بأنهم قد انتهوا من الواجب الأساسى للحج، وأنهم أصبحوا بذلك حجاجا. وأنه بمجرد إفاضتهم من مزدلفة الى منى يصبحون معيدين عيد الأضحى المبارك. وقد سبق أهل مكة الحجاج فى الإفاضة من مزدلفة إلى منى<sup>(٦)</sup>.

### ج - منى :

وتقع منى فى غرب مزدلفة ويفصلها عن مزدلفة وادى محسر. ولقد ذكر فى حدودها بأنها تبدأ من وادى محسر إلى مهبط العقبة<sup>(٧)</sup>. ومنى كمزدلفة من حيث وقوعها داخل حدود الحرم المكى. ويمكن وصف منى بأنها واد صغير يضم شعبانا متعددة، وفى الطرف الأيمن منها يقع مسجد الكبش قرب العقبة، وعلى الطرف الأيسر من وسطها يقع مسجد الخيف، وتوجد الجمرات الثلاثة فى منى، وهى جمرة العقبة الأولى، وجمرة العقبة الوسطى، وجمرة العقبة الصغرى. ولقد سميت

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ٨٠.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، مادة مزدلفة.

(٣) ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٧٣.

(٤) على المالكى: الشافى الصغير، ورقة ١٦٥.

(٥) الجزيري: درر الفوائد، ص ٧٨.

(٦) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٠١.

(٧) ياقوت: معجم، ج ٥، ص ١١٢.

منى لما يمنى بها من الدماء أى يراق، وقيل أن آدم عليه السلام، منى فيها الجنة<sup>(١)</sup>. وعدد سكان منى فى غير أيام الحج قليل، فهى تعمّر أيام الموسم، وتخلو بقية أيام السنة وقل أن يوجد فى الدولة الإسلامية مكان يتصف بهذه الصفة.

وبمجرد عبور الحجاج لوادى محسر يدخلون منى ويمكنون فيها ثلاثة أيام تعرف بأيام التشريق، وهى أيام عيد الأضحى المبارك التى يتعارف فيها الحجاج ويتزاورون. هذا ويقام حجّاج كل ركب فى مكان معد وخاص بهم. ويقوم أهل مكة بنصب الخيام فى هذه الأماكن ليقام الحجّاج فيها أيام التشريق. وتوجد بمنى بعض الأبنية منذ العصر الجاهلى، كما يوجد بها أبنية أخرى أقيمت من أجل نزول أمراء الركباء والخلفاء وحاشيتهم<sup>(٢)</sup>. ويوجد بمنى سوق يبدأ عمله فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة<sup>(٣)</sup>. ويعرف هذا السوق بسوق العرب، ويعرض فيه كثير مما يصنعه أهل مكة من أنواع الأطعمة والملبوسات والهدايا الخاصة بالحجّاج. وهكذا يتم التبادل التجارى فى منى طوال أيام التشريق. هذا ويبدأ الحجّاج بذبح هديهم فى منى فى اليوم الأول من أيام التشريق. إذ تعدّ أيام منى أيام خاصة بذبح الهدى لجميع الحجّاج<sup>(٤)</sup>. وبانتهاء اليوم الثالث من أيام التشريق يبدأ رحيل الحجّاج بعد وقت الزوال من منى متجهين الى مكة. وهكذا يمسون وقد أنهاوا مناسك الحج<sup>(٥)</sup>.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن قيام بعض أهل مكة بنصب الخيام فى عرفات ومنى ليقام فيها الحجّاج قد بدأ فى السنة العاشرة من الهجرة. ففى هذه السنة كلف والى مكة عتاب بن أسيد بعض القرشيين فى مكة بعمل الخيام فى عرفات ومنى<sup>(٦)</sup>. وقد ظل

(١) الزبيدى: تاج العروس، مادة منى.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٩٠.

- الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ٢٠٢.

- النهروالى: الاعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص ٨٥.

(٣) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٥٣.

(٥) يوسف أحمد: المحمل والحج، ص ٥٤.

(٦) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٥٤.



هذا العمل يمارسه بعض أهل مكة حتى الوقت الحاضر، ويعرف القائمون بهذا العمل بالمطوفين. ولا يقتصر عمل المطوفين على ذلك، بل يقدمون إلى الحجاج خدمات أخرى مقابل ما يدفعونه إليهم، هذا وإن مهنة الطواف هذه تعد مهنة حديثة لم يكن لها وجود في الفترة الزمنية الخاصة بموضوع بحثنا.

ومن الجدير أن نذكر أن صناعة الخيام قد نشطت في بعض الأمصار الإسلامية وخاصة في مصر منذ الفتح الإسلامي لها وكان التجار من حجاج مصر يفدون إلى مكة ومعهم الخيام حيث كانوا يبيعونها إلى تجار مكة.

### توفير المياه في مشاعر الحج:

كانت موارد المياه في مشاعر الحج تعتمد على مياه الآبار القديمة التي حفرت في العصر الجاهلي. وحينما حج الرسول صلى الله عليه وسلم، حجة الوداع، استقى الحجاج من هذه الآبار مثل بئر (السقيا) وبئر (الركايا) في عرفات<sup>(١)</sup>. وقد اصطحب الرسول صلى الله عليه وسلم السقاة معه من مكة، وكان يتولى أمر السقاية عمه العباس رضى الله عنه، وأبناءؤه الذين كانوا يقومون بتوفير المياه للحجاج طيلة أيام الحج<sup>(٢)</sup>.

ولقد اهتم الخلفاء الراشدون بحفر الآبار في أمكنة المشاعر بعد أن بدأ يفد إلى مكة المكرمة أعداد كبيرة من الحجاج من خارج شبه الجزيرة العربية<sup>(٣)</sup>. ففي سنة ١١ هـ أمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه، بإصلاح بئر السقيا وتجديد بناء جدار هذا البئر، هذا ويقع بئر السقيا بين مأزمية عرفة ومسجد نمرة. وفي نفس السنة أمر بإصلاح بئر (ركايا والياقوتة)<sup>(٤)</sup>، ويقع بئر ركايا في جنوب شرقي عرفة، بينما يقع بئر الياقوتة في منى<sup>(٥)</sup>.

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٨٨.

(٣) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٩٨.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩٩.

(٥) النهروالى: الاعلام، ص ١٧٣.

وفي سنة ١٥هـ أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بحفر بئر (الروا) الذى يقع فى الوادى ما بين مزدلفة وعرفة. وقد اهتم أمير المؤمنين رضى الله عنه، بأمر سقاية الحجاج فى فترة الموسم فأمر السقاة بحمل المياه على الدواب وتوزيعها فى أمكنة الحج حتى لا يعانى الحجاج نقصا فى الماء<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٦٥هـ حفر عبدالله بن الزبير بئرا فى منى، عرف هذا البئر باسم بئر عمر نسبة إلى بانيه عمر الخزاعى<sup>(٢)</sup>. وبعد مقتل عبدالله بن الزبير اهتم خلفاء الدولة الأموية وولاتهم على مكة بتوفير المياه فى أمكنة الحج. فقد قام الحجاج بن يوسف الثقفى وإلى مكة بتجديد إصلاح بئر ركايا كما وأنه أصلح بئر الياقوتة فى نفس السنة<sup>(٣)</sup>. وقام بتوزيع السقاة فى أمكنة الحج لتوفير المياه للحجاج<sup>(٤)</sup>.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن أبناء العباس رضى الله عنه، لم يكن لهم سوى سقاية الحجاج من بئر زمزم فى مكة، إذ أن خلفاء بنى أمية لم يعهدوا اليهم بسقاية الحجاج فى المشاعر، وكان ذلك موكولا إلى وإلى مكة الذى كان من أهم واجباته توفير المياه للحجاج فى المشاعر طوال أيام الحج<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٩٧هـ أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك بإصلاح بئر عمر، ثم أمر بإصلاح بئر الصلاصل وهو بئر قديم كان معروفا منذ الجاهلية، وكان يقع قرب العقبة بمنى<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، جدد بناء بئر التجار، ويقع هذا البئر فى منى، هذا البئر كان معروفا منذ الجاهلية. ومن المفيد أن نشير إلى أنه غدا بعد تجديده صالحا لسقاية الحجاج فى منى<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٨٢.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص ١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٧.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٠.

(٥) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ٤٥٩.

(٦) النهروالى: الاعلام، ص ١٧٧.

(٧) الصباغ: تحصيل المرام، ورقة ٨٠. - الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ٨٩.

وبعد أن آلت الخلافة إلى البيت العباسي ، وازداد عدد الوافدين إلى مكة المكرمة أصبحت مياه هذه الآبار غير كافية لسد حاجة الحجاج في موسم الحج . ولذلك قام الخلفاء العباسيون الأوائل باحضار الغلمان من أجل توفير المياه لسقاية الحجاج ، وكانوا غالبا ما يحضرون المياه من خارج أمكنة المشاعر بواسطة الدواب<sup>(١)</sup> . كما اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل باصلاح بعض الآبار الواقعة في أمكنة المشاعر . فقد أمر أبوجعفر المنصور في سنة ١٣٨هـ باصلاح بئر الياقوتة بمنى . كما أمر الخليفة المهدي سنة ١٥٩هـ بإصلاح بئر السقيا وقد قام بإصلاحه مولاه خالصه ، لهذا اصطلح على تسمية هذا البئر ببئر خالصة<sup>(٢)</sup> .

وفي عام ١٩٣هـ نقصت المياه في أمكنة المشاعر وأصاب الحجاج عطش شديد ، وقيل أن راوية الماء بيعت بعشرة دراهم<sup>(٣)</sup> .

وحينما علمت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد بما عاناه الحجاج من عطش شديد أمرت بإيصال عين وادي النعمان الى جبل الرحمة بعرفة ، ومن عرفة إلى مكة ، وكلفت المهندسين والصناع والعمال بعمل الدراسات اللازمة لذلك . كما أمرت ببناء بركة كبيرة قرب جبل الرحمة وإيصال قنوات مياه عين وادي النعمان اليها<sup>(٤)</sup> .

ومن المعلوم أن قناة وادي النعمان تسير في داخل الأرض من منبع العين حتى بعد حدود عرفة ، ثم تسير مع سفوح الجبال حتى نهاية مصبها في بئر زبيدة في حوض البقر . وأن طريقة عمل القناة تعبر عن الفن الهندسي المتقدم الذي وصل إليه الفن

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢١٣ .

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٠٧ .

- الفاسي: فاء الغرام، ج ١، ص ٩٠ .

- البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٦٠ .

(٣) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٦ .

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ١٠٣ .

(٤) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٩ .

- الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٤٦ .

- عبدالقادر ملاقلندر: الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة، ص ١٥ .



المعماري الإسلامي في تلك الحقبة الزمنية، فإن القناة لا تسير في خط مستقيم واحد، بل في تعاريج اقتضتها طبيعة الأرض. وإن انحدار الماء في داخل القناة كان خفيفا خشية من حفر الأرض إذا كان انحدار الماء شديدا.

ويمكننا أن نذكر بأن مياه عين وادي النعمان لم تصل إلى مكة كما كانت ترغب السيدة زبيدة. ويرجع السبب في هذا إلى صعوبة المنطقة الجبلية من حوض البقر إلى مكة. ولقد أقيمت على القناة فيما بين عرفة وحوض البقر خمس وعشرون خرزة من أجل سقاية الحجاج في منى ومزدلفة. كما كلفت وإلى مكة باصلاح قناة هذه العين وبوضع الحراسة عليها<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٢٤١هـ تصدعت بعض أجزاء قناة عين زبيدة، وعلم الخليفة المتوكل على الله بذلك، وأمر واليه على مكة بإصلاحها لكي لا يواجه الحجاج نقصا في الماء فترة الموسم<sup>(٢)</sup>.

هذا ولم تتحدث المصادر القديمة عن أية إصلاحات لهذه العين في الفترة التالية لخلافة المتوكل على الله. غير أن ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين، الجزء الأول، ص ٢١٤، ص ٢١٥ نشر أربعة نقوش أثرية كانت موجودة في زمنه على أربع لوحات رخامية أسفل جبل الرحمة بعرفة. ثلاث منها تشير إلى إصلاح عين عرفة والمصانع التي بها في خلافة الخليفة العباس أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، والرابعة تشير إلى إصلاحها في خلافة الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور المستنصر بالله سنة ٦٢٣هـ، ٦٤٠هـ<sup>(٣)</sup> ولقد أزيلت هذه اللوحات عن موضعها ونقلت إلى مصلحة الآثار السعودية التي لا تزال في بداية عهدها بالعمل الأثري، وبما أن ما جمعته من نقوش أثرية لم تتم

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٤٧.

- محمد أنور شكري: لوحات أثريات، ص ٨، مطابع دار الثقافة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- مصطفى نبيل: مواقع التاريخ تحت الرمال - العربي، العدد ٢٣٤ عام ١٩٧٨م.

(٢) الأزرقى: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٣٢.

- ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٥.

دراسته بعد، فإننى اكتفى بنقل هذه النقوش كما ورد فى كتاب مرآة الحرمين . وإليك نص النقش الأول.

١ - بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى امام الله ظل مولانا الإمام.

٢ - الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره، أمر الإمام الاصفهتيلار.

٣ - الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب أربل . . سنة ٥٠٠هـ لأبى جعفر.

٤ - المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن ابراهيم رفعت لم يتمكن من قراءة هذا النقش قراءة صحيحة، لأن التاريخ الذى أورده وهو سنة ٥٠٠هـ يتنافى مع الحقائق التاريخية التى تضمنها النقش، فالخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى ورد اسمه فى هذا النقش تولى الخلافة فى الفترة من سنة ٥٧٥هـ حتى سنة ٦٢٢هـ<sup>(٢)</sup>. وكذلك الأمير الكبير نصير الدين زين الدين صاحب أربل هو ابن أتابك أربل زين الدين يوسف بن على الذى تولى أتابكية أربل من سنة ٥٦٣هـ حتى سنة ٥٨٦هـ<sup>(٣)</sup>.

والنقش الثانى يدل على عمارة عين وادى النعمان بأمر من الخليفة العباسى أبوالعباس أحمد الناصر لدين الله سنة ٥٨٤هـ ونصه كالتالى:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم: أمر سيدنا ومولانا الامام خليفة الله على كافة أهل الإسلام.

٢ - أبوالعباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره.

٣ - لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام، أجزل الله ثوابه آمين، وذلك

---

(١) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة: ج ١، ص ١٣.

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٤٩.

- عصام الدين عبدالرؤوف: فى بلاد الجزيرة، ص ٢٦٧.

٤ - على يد الأمير الاصفهتيلار<sup>(١)</sup> الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاشتكين نصر<sup>(٢)</sup>

٥ - أمير المؤمنين أدام الله توفيقه، وذلك في سنة أربع وثمانين.

٦ - خمسمائة<sup>(٣)</sup>

ويشير النقش الثالث الى عمارة عين عرفة في سنة ٥٩٤هـ وذلك بناء على أمر الخليفة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ونصه:

١ - (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله، أمر بعمارة عين عرفة.

٢ - والمصانع الى بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين<sup>(٤)</sup> أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره.

٣ - ويلغه سؤاله ومناه وأمله ومبتغاه في سلالة الطاهرة وفترته الزاهرة.

٤ - أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار<sup>(٥)</sup> الكبير مظفر الدين بكيري<sup>(٦)</sup> ابن علي.

٥ - صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطاته وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٩٤هـ . تقبل عن يد عبدالرحمن بن أبي جرمي عفا الله عنه).<sup>(٧)</sup>

---

(١) الاصفهتيلار: هكذا قرأه ابراهيم رفعت، وصحته (الاسفهلار) وهي لقب مركب من لفظين: فارسي وتركي، اللفظ الأول (أسفه) ومعناها بالفارسية يعنى المقدم، واللفظ الثانى (سلار) تركى يعنى العسكر، وبذلك يكون معنى اللقب، مقدم العسكر. وكان هذا اللقب مستعملا في الدولة الفارسية، ومنها انتقل الى العصر العباسى في بغداد، وقد ظل مستعملا طوال العصر العباسى حتى عصر الأتابكة.

- انظر: حسن الباشا: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ١٥٦، ١٥٨.

(٢) لم استطع التعرف على اسم هذا الأمير.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) أى الخليفة العباسى أبو العباس أحمد الناصر لدين الله.

(٥) هكذا قرأه ابراهيم رفعت انظر حاشية رقم (١) من الصفحة السابقة.

(٦) هكذا قرأه ابراهيم رفعت: وهو مظفر الدين كوكبرى بن على أتابك اربل سنة ٥٨٦هـ حتى سنة ٦٣٠هـ وقد قام هذا الأتابك بجهود كبيرة في توسيع أتابكيته على حساب الأتابكيات المجاورة، كما كان له نفوذ كبير في دار الخلافة. انظر:

- أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ج ٢، ص ٣٤٩.

- عصام الدين عبدالرؤوف: في بلاد الجزيرة، ص ٤٠، ٤١، ٦٣، ٨٧، ٢٦٧.

(٧) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٥.



وأما النقش الرابع ، فيشير إلى عمارة عين عرفة والبرك الملتفة بها بعد أن تعطلت مدة عشرين سنة ، وذلك بأمر الخليفة العباسي المستنصر بالله . ولم يحدد النقش تاريخ هذه العمارة ، غير أن ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين ، يذكر أن المستنصر بالله عمّر عين عرفة في سنة ٦٢٥هـ وسنة ٦٢٧هـ ، وفي سنة ٦٣٣هـ<sup>(١)</sup> ، واليك نص هذا النقش :

- ١ - (بسم الله الرحمن الرحيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) شرع لعمارة .
- ٢ - هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه بهم الملائكة صلى الله تعالى
- ٣ - ورجاء عفوه (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) بالاربل<sup>(٢)</sup>
- ٤ - الاشرف النبوى الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا ، وقد
- ٥ - شاده حلال المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التى بها ملتفة بعد عطلها .
- ٦ - خرابا عشرين سنة ، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد
- ٧ - شرف الدين جلال الدولة عبد الخلافة المعظم محى الامامة المكرمة
- ٨ - ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الامام الأعز
- ٩ - أبو الفضائل والمكارم أمثال الخاص النبوى المستنصرى خاص أمير
- ١٠ - المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة
- ١١ - على جميع الأمم عبدالله خليفة الله فى أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين<sup>(٣)</sup> .

### أعطيات الخلفاء لولاية مكة المكرمة :

عندما استقرت السلطة فى مكة للدولة الاسلامية الجديدة فى العام الثامن الهجرى ، أخذت على عاتقها مسئولية امداد الحجاج بالأطعمة فنجد الرسول صلى

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(٢) لم يذكر النقش اسم أتاك اربل وواضح أن المقصود هو مظفر الدين كوكبرى بن على الدين ورد اسمه فى النقش السابق ، والذى امتد حكمه حتى سنة ٦٣٠هـ .

- انظر : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .

وأيضا : عصام الدين عبدالرؤف : فى بلاد الجزيرة ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

الله عليه وسلم، يرسل المال إلى أبي بكر الصديق حينما ولاه أميراً للحج في السنة التاسعة من الهجرة ليوزع على مسلمي هذا الموسم الطعام<sup>(١)</sup>.

وفي هذا التدبير الذي مارسه المسلمون للمرة الأولى بعد سيطرتهم إدارياً على مكة التزام برعاية الجانب الاقتصادي وتوفير الأمن الغذائي فيما رصده الرسول صلى الله عليه وسلم، لإطعام الحجاج، كما يتمثل هذا الجانب فيما وعد الله عز وجل المؤمنين من تعويض ما ينجم عن انقطاع المشركين عن الموسم كما جاء في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تتضح معالم تنظيم المواسم من بعد حيث كانت تترابط المواقف إدارية وسياسية واقتصادية، وتنعكس إيجاباً وسلباً على حالة الموسم.

وقد أصبح إعداد الطعام للحجاج كل عام في يوم عرفة تقليداً إسلامياً جرى العرف به من قبل الخلفاء والولاة وأمراء الحج على مدى العصور الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

وإذا تتبعنا الأحداث سنجد توفير الطعام للحجاج في المشاعر مرتبطاً بالاستقرار الإداري والسياسي في كل موسم ومدى ما تستطيع السلطات توفيره للحجاج من أطعمة وغيرها.

فقد ظل هذا الاستقرار أيام الخلفاء الراشدين، لم يضطرب حتى عندما كان هناك أميران للحج من قبل على - كرم الله وجهه - وآخر من قبل معاوية لأن قداسة المشاعر وقوة الإيمان قد حجبت سلبات هذا الخلاف من أن يترتب عليها احصار للحجاج، وتضييق عليهم في أقواتهم<sup>(٤)</sup>.

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ١٩٠، ص ١٩١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٣) الجزيري: درر الفوائد، ص ١٩٦.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٠.

وفي سنة ٦٣هـ حينما سيطر عبدالله بن الزبير على الحجاز خرج ركب الحج الى عرفة تحت رايته ، وتولى هو خطبة يوم عرفة وفي السنة التالية لها ، وقف بعرفة أربعة ألوية ، لواء يقوده عبدالله بن الزبير ، ولواء للخوارج بقيادة علي بن عامر الخارجي ، ولواء الشيعة وكان يقوده محمد بن الحنفية ولواء لأهل الشام ، وكان يقوده بعض من بنى أمية ، ويقال أنه أقيمت في يوم عرفة أربع خطب . ورغم هذا التنافر بين تلك الألوية فلم تقع أية اعتداءات على الحجاج<sup>(١)</sup>.

وعلى أثر وفاة يزيد بن معاوية ، استتب الأمر لعبدالله بن الزبير ، الذي كان يقود الحج تحت لوائه حتى سنة ٧٢هـ . ولما صار الأمر لعبدالمملك بن مروان ولي الحجاج بن يوسف الثقفي اماره الحج ، وبعثه في جيش كثيف لقتال ابن الزبير بعد قضاء موسم الحج<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك العام لم تقع حوادث يمكن أن تذكرها المصادر في المواسم التالية طوال فترة حكم بنى أمية ، حيث تجمعت كلمة المسلمين تحت لواء بنى أمية في جميع مواسم الحج حتى سنة ١٣١هـ<sup>(٣)</sup>.

ولعل اختفاء الحوادث في موسم الحج حتى سنة ١٣١هـ يعود إلى الطمأنينة السياسية التي أوجدها الخلفاء الأمويون وذلك بتعيينهم أعضاء ينتمون إلى البيت الأموي في ولاية مكة و اماره الحج<sup>(٤)</sup>.

ومنذ بداية الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٢٥٠هـ ، لم تحدث أية أزمات في موسم الحج سواء من الناحية الادارية والسياسية والاقتصادية<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٢٥١هـ خرج على الدولة العباسية اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الجون

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٣) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٠١.

(٤) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٠٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٠٩.



ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي، فحدثت معركة يوم عرفة، بينه وبين أمير الحج المعين من قبل الخليفة العباسي المستعين بالله، نتج عنها عدم وقوف الحجاج بعرفة ليلاً أو نهاراً، غير أن الأقوات لم تتأثر بهذا الحادث، لأنه وقع بعد وصول كل القوافل إلى مكة<sup>(١)</sup>. ومن الجدير بنا أن نشير إلى ضعف الخلافة العباسية تعددت الجهات التي تتنازع السيطرة على موسم الحج، وكثيراً ما وقع القتال بينهما في الحرم أو في مشاعر الحج.

ففي عام ٢٦٩هـ وقع قتال بين أصحاب ابن طولون (الركب المصري) وبين ركب الحجاج العراقيين أصحاب الموفق أحمد، وكان الظفر لأصحاب الموفق أحمد<sup>(٢)</sup>. ويقول الفاسي أن والي مكة منع حجاج مصر من شرب الماء. إلى أن تدخل أمير الركب الشامي واستطاع أن يصلح بينهم<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٢٩٥هـ وقع قتال في أيام التشريق بمنى بين عجب بن حاج والي مكة وبين الأجناد لأنهم طالبوا بجائزة بيعة الخليفة المقتدر على أثر وفاة المكتفى، فقتل عدد كبير منهم<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ١٣٠١هـ استقل محمد بن سليمان العلوي بمكة، منتهزاً فرصة انشغال الخلافة العباسية بالفتن<sup>(٥)</sup>. وخطب لنفسه في موسم الحج فقال: (الحمد لله الذي أبرز زهرة الايمان من اكرامه، وكمل دعوة خير الرسل باسباطه لابنى اعمامه) ولم تكن دولة السليمانيين، التي أنشأها من القوة بحيث تحقق الأمن للحجاج، كما لم تعرف المدة التي حكم خلالها محمد بن سليمان، وربما كانت تتراوح بين عامين أو أربعة أعوام<sup>(٦)</sup>.

(١) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٤.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٥.

(٥) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي، ج ٣، ص ٢١، ٢٢.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٩٩.

وفي سنة ٣١٧هـ حدثت غارة القرامطة على مكة والتي نزعوا فيها الحجر الأسود وانتهكوا حرمت البيت الحرام، مما أفرع الحجاج وأثر على الحركة داخل مكة وفي طرق الحج<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٣٢٧هـ أعيدت ولاية مكة إلى طاعة الخليفة العباسي وأصبح والي مكة يعين من قبل الخليفة العباسي، وقد استطاع الخليفة العباسي الراضي أن يستعيد النفوذ والخطبة باسمه في مكة وانحسر نفوذ القرامطة عن المناسك وطرقها وأسندت ولاية الحجاز (مكة والمدينة) إلى محمد بن طنج الاخشيدى حاكم مصر<sup>(٢)</sup>، الذي افتخر بولايته على الأراضى المقدسة في كتابه لامبراطور الروم<sup>(٣)</sup>.

ومنذ سنة ٣٣٧هـ أصبحت السلطة في بغداد لبني بويه، فعملوا على أن يزيحوا نفوذ الأخشيديين عن الأراضى المقدسة. وقد أدى ذلك الى قيام الصراع بينهما على بسط النفوذ على الأراضى المقدسة والاستئثار بالخطبة. وكان الاخشيديون من جانبهم يغدقون الأعطيات على سكان الحرمين من أجل الدعاء لهم على المنابر، مع بقاء اسم الخليفة العباسي<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٣٤٢هـ وقع قتال شديد بين أمير الركب العراقي وأمير الركب المصري لأن أمير الركب العراقي كان يريد ذكر اسم الأمير البويهى في الخطبة، وقد ظفر العراقيون وأقاموا الخطبة لمعز الدولة بن بويه<sup>(٥)</sup>.

(١) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٦

- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٠٠.

- سيدة اسماعيل كاشف: مصر في عصر الأخشيديين، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٣) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٠.

- سيدة اسماعيل كاشف: مصر في عصر الأخشيديين، ص ١٥٥.

- السباعى: تاريخ مكة، ج ١، ص ٦٧.

(٤) سيدة اسماعيل كاشف: مصر في عصر الأخشيديين، ص ١٥٦.

(٥) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٤٣.

- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢١.

وفي السنة التالية استجد القتال بين أمير الركب العراقي وأمير الركب المصري، وانتصر فيه العراقيون وأقاموا الخطبة لمعز الدولة ولركن الدولة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٣٤٤هـ اتفق أمير الحج المصري، وأمير الحج العراقي على أن تقام الخطبة باسم الخليفة العباسي وعلى ألا يذكر فيها اسم الأمير البويهى ولا اسم الأمير الأخشيدي، وبذلك انتهى التنفس بين البيت البويهى والبيت الأخشيدي، ولم تذكر المصادر وقوع صراع بينهما بعد ذلك.

وظل العباسيون يتمتعون بالسيادة على مكة والمدينة، ولا ينازعهم فيها منازع، حتى أقام الفاطميون خلافتهم، وبدأوا يتوسعون في رقعة دولتهم، وباستيلائهم على مصر، بدأ الصراع بينهم وبين العباسيين من أجل السيطرة على الحجاز، وكان من مظاهر ذلك التنازع على الخطبة كل يريد أن تكون الخطبة باسم الخليفة التابع له. وكانت الأعطيات التي لها دور كبير في رواج الموسم تتأرجح قلة وكثرة على حسب الموقف السياسى والاقتصادى قوة وضعفا في الدولتين<sup>(٢)</sup>. فنجد أمراء مكة يميلون هنا مرة وهناك أخرى، إذ أن تعدد السلطة المركزية على العالم الإسلامى كان يجعل الأمن مضطربا، والالتزام بالأعطيات واطعام الحجاج، وحمل الأقوات خاضعا للظروف التي تمر بها الدولتان.

وكان اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز قد بدأ منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمى، حيث تدخل في النزاع الذى حدث بين بنى الحسن وبين بنى جعفر بن أبى طالب، وحسم الخلاف بينهما، اذ أرسل إليهم مالا ورجالا توسطوا بينهم وعقدوا معهم الصلح في الحرم، كما قام رسل الخليفة الفاطمى بأداء دية قتلى بنى الحسن سنة ٣٤٨هـ<sup>(٣)</sup>.

وكان لهذا الصنيع أثره، اذ أنه حين استتب الأمر للحسن بن جعفر الحسنى في مكة سنة ٣٥٨هـ وأعلن قيام حكم الأشراف الحسينيين من أسرة الموسويون بادر

(١) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٤٤.

(٢) السباعى: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٢١.

(٣) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٣.



بالدعوة للمعز لدين الله الفاطمي على منابر مكة، فبعث إليه المعز من المغرب بتقليد الحرم واعماله، وبذلك حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في مكة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٣٥٩هـ توقفت أعطيات الدولة العباسية، وبدأ الخليفة الفاطمي بإرسال أعطياته، كما قال المقرئ: (عسكرا وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحرمين وعدة أحمال متاع)<sup>(٢)</sup>. وأصبحت الخطبة في مكة وفي يوم عرفة تقام باسم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي. وقد ظلت تبعية الحجاز للخليفة المعز لدين الله حتى توفي سنة ٣٦٥هـ. وخلفه ابنه العزيز الذي انقطعت الخطبة عن اسمه عامين، حيث كانت باسم الخليفة العباسي<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٣٦٦هـ حجت جميلة بنت ناصر الدولة الحمدانية صاحب الموصل وأغدقت الأعطيات على الحجاج وعلى سكان مكة، كما أنها نثرت عليهم دنانير الذهب في جبل عرفات، وعند جمره العقبة الكبرى في منى، كما يقال بأنها سقت الناس في مشاعر الحج الماء بالثلج وذلك لشدة الحرارة<sup>(٤)</sup>.

وفي السنة التالية بعث الخليفة الفاطمي العزيز ادریس بن زیری الصنهاجي أميرا على ركب الحاج المصري، فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة، إلا أن النفوذ الفاطمي رغم ذلك لم يكن مستقرا في مكة طوال عهد العزيز واضطر العزيز في سنة ٣٨٠هـ إلى إرسال حملة عسكرية إلى بلاد الحجاز ضيقت الحصار على أهلها، وانتهت بإعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي<sup>(٥)</sup>.

وظل أمراء مكة بعد هذه السنة يقيمون الخطبة للخليفة الفاطمي، ولما توفي أمير مكة عيسى بن جعفر في سنة ٣٨٤هـ خلف أخوه أبو الفتوح الذي بدأ عهده بإخلاصه

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٤.

(٢) المقرئ: اتعاظ الخنفا، ص ١٧٢.

(٣) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٤٦.

- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٤.

(٤) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٤٧.

(٥) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٥.

للفاطميين، فأقام الخطبة باسم الخليفة الفاطمي . ولكن الخليفة العباسي القادر بالله أغراه بالمال من أجل إعادة الخطبة باسمه، غير أنه رفض ذلك وبعث إليه بأن الخطبة للخليفة الحاكم بأمر الله دون سواه<sup>(١)</sup>.

واستطاع أبو الفتوح أن يستعيد سيادة الفاطميين على المدينة، وسوف نتكلم عن ذلك في الفصل الرابع من هذا البحث.

وما لبث أبو الفتوح أن خرج عن طاعة الخليفة الفاطمي سنة ٤٠٠ هـ، بعد أن أغراه الوزير أبو القاسم حسين بن علي بن المغربي بأن ينتحل لقب الخلافة وأغراه بالثورة على الفاطميين وانتزاع الخلافة منهم فأخذ أبو الفتوح البيعة لنفسه من بعض القبائل، مثل بنى سليم، وبنى هلال، وبنى عوف، وبنى عامر، ثم ما لبث أن شد رحاله في قوة عسكرية يريد الشام وانتهى به المطاف إلى منازل آل الجراح في الرملة، واتحد مع خسان بن مفرح بن الجراح، فبايعه آل الجراح، وأقيمت الخطبة في منازلهم باسمه وفي كثير من مدن الشام<sup>(٢)</sup>.

وتوافدت الأخبار إلى مسامع الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي بخروج أبو الفتوح عليه، وانتحاله لقب الخلافة، وانحياز حسان بن مفرح بن الجراح، والوزير أبي قاسم عليه فغضب من ذلك وأمر بعزله وتولييه عمه أبي الطيب بن داود مكانه، ولكن أبو الفتوح فطن إلى أن آل الجراح قد بدأوا يتخلون عنه مما جعله يعيد النظر فيما حدث، فالتجأ إلى مفرح والد حسان رأس المتخلين عنه، وأعلن التجاءه إليه فأكبر مفرح ذلك، وأخذ على عاتقه تسوية الأمور فتوسط بينه وبين الخليفة الفاطمي بالصلح على أن يتنازل عن دعوته بالخلافة، لقاء إخلاء مكة من خصومه وأن يعود إلى حكم مكة كما كان يحكمها من قبل<sup>(٣)</sup>. وهكذا عاد إلى مكة سنة ٤٠٣ هـ واستتب له الأمر فيها وشرع يدعو للحاكم بأمر الله الفاطمي كما نقش اسمه على النقود<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٥.

- السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٦، ٢٧.

(٤) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٧٣.

ولم يحاول أبو الفتوح، بعد عودته إلى إمارة مكة، الخروج على طاعة الفاطميين مرة أخرى بل احترم سيادتهم وأصبح يقيم الخطبة للحاكم بأمر الله.

ولما توفي خطب لابنه الظاهر، كما خطب من بعده للمستنصر سنة ٤٢٧ هـ، وظل أبو الفتوح مواليا للفاطميين، حتى توفي سنة ٤٣٠ هـ وخلفه من بعده ابنه شكر الذي استطاع أن يبسط نفوذه على مدن الحجاز، وأقام الدعوة للمستنصر الفاطمي في الحرمين، واستمر الحال على ذلك حتى توفي سنة ٤٥٣ هـ<sup>(١)</sup>.

ولم ينجب شكر بن أبي الفتوح الحسنى أولادا يتولون إمارة مكة من بعده. وبوفاته انتهى أمر مكة من بعده إلى عبد له لم يذكر المؤرخون اسمه<sup>(٢)</sup>.

ولعل من الغرابة أن يتولى أمر مكة أحد العبيد، وفيها من السادة العلويين والأشراف وأعيان الأهالي والمجاورين، ولكن الذى يبدو من ثنايا الحوادث أن الأشراف في مكة كانوا منقسمين على أنفسهم، وأن أشراف كل أسرة كانوا يتحصنون فيما بينهم وبذلك ضاعت فرص التلاقى في جبهة موحدة. ولعل عبد الأمير شكر كانت له قوة ساعدته على تولي إمارة مكة واغتنام هذه الفرص، وكيفما كان الأمر فلم يدم حكمه مدة طويلة في مكة، لأن الأشراف لم يلبثوا أن قبضوا على زمام الأمر، بعد أن أبعدوه عن الحكم، كما أبعدوا الأشراف من أسرة الموسويين<sup>(٣)</sup>. وبذلك بدأ حكم أسرة الهواشم، إذ تقلد إمارة مكة أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم الذى عظم ذكره بين قومه ٤٥٤ هـ، وكان أول عمل استفتح به حكمه إقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي<sup>(٤)</sup>.

ولكنه لم يحتفظ بسيادة الفاطميين على مكة، إذ ما لبث أن انحرف عن الخليفة

(١) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٧٩.

- السباعى: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٤.

(٤) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٧.

- أحمد دراج: ايضاحات جديدة عن تحول في تجارة البحر الأحمر ص ١٩٥.



الفاطمي بسبب نقص الأعطيات التي كانت تصله منه ويبدو أن الخليفة القائم بأمر الله العباسي نجح في أن يستميله اليه بزيادة الأعطيات له، فأقام الخطبة له بدلا من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله<sup>(١)</sup>.

ولما علم الخليفة المستنصر الفاطمي بذلك عهد في سنة ٤٥٥ هـ الى علي ابن محمد الصليحي داعية اليمن بارسال حملة إلى مكة، لاستعادة نفوذه عليها، والقضاء على الدعوة العباسية فيها، وبدأ الصليحي يستميل أهل مكة باغداق الأعطيات عليهم، كما أحسن معاملتهم، وكسى الكعبة ثيابا بيضاء، ونجح آخر الأمر في القضاء على أسرات الأشراف. إلا أن الأشراف أخذوا يتقربون اليه ويراسلونه أملا في عودتهم الى ولاية مكة<sup>(٢)</sup>.

ولكن محمد بن جعفر استطاع أن يظهر تعاونا كبيرا معه بنشر الأمن مما جعله يسند اليه اماره مكة ويفضله على باقي الأشراف.

وبعودة الصليحي الى اليمن بقي زمام الأمور في مكة المكرمة بيد أبي هاشم محمد بن جعفر الذي بدوره أعاد النفوذ الفاطمي الى مكة<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٤٥٧ هـ بدأ النزاع فيما بين الأشراف الحسينيين أنفسهم إذ خرج حمزة بن وهاس على والي مكة، محمد بن جعفر واستطاع أن ينتزع منه اماره مكة. فأخذ محمد بن جعفر يستعد لمحاربة بني عمومته الذين انتزعوا السلطة منه مستنصرين ببعض القبائل التي تقيم في طريق الحج<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٦.

- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٨.

(٢) المقرئ: الذهب المسبوك، ص ٦٦.

- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٨.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٨٣.

(٤) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٨٥.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٦.

وما أن حل عام ٤٥٨هـ حتى استطاع محمد بن جعفر القضاء على حمزة بن وهاس<sup>(١)</sup>، وأخرجه من مكة مع مناصريه من الحسينيين ويقال أنه أخرجهم من الحجاز. وبذلك تمت عودة محمد بن جعفر الى اماره مكة<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٤٦١هـ تأثرت السيادة الفاطمية على مكة بسبب الشدة العظمى التي أصابت مصر في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي وأدت إلى انقطاع الأموال التي كانت ترد إلى محمد بن جعفر من مصر، مما دفع محمد ابن جعفر لأخذ قناديل الكعبة وأستارها وصفائح بابها كما صادر أموال أهل مكة، لينفقها على شؤون امارته. وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة، وخطب باسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وأرسل في سنة ٤٦٢هـ إلى السلطان الب أرسلان السلجوقي يخبره بذلك<sup>(٣)</sup>. وقد نال هذا العمل رضا السلطان الب أرسلان السلجوقي الذي أرسل إليه ثلاثين ألف دينار وخلع وطلب منه أن يلغى آذان الفاطميين (حتى على خير العمل)<sup>(٤)</sup>. غير أن أبا المحاسن يذكر أن أمير مكة رغم اقامة الخطبة للخليفة العباسي، إلا أنه قد أبقي الأذان (بحي على خير العمل). ونستدل من ذلك على بقاء علاقته بالفاطميين، وأنه عندما مات القائم بأمر الله العباسي وانقطعت أعطيات العباسيين له أعاد الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٦٧هـ<sup>(٥)</sup>. ويمكن القول أن ولاءه لاحدى الخلافتين، العباسية والفاطمية كان يتلون حسب مقدار ما يصله من كل منهما من أعطيات<sup>(٦)</sup>.

وعلى الرغم من استمرار مقاليد أمور مكة في يد محمد بن جعفر، إلا أن سيرته لم تكن مشكورة. ففي سنة ٤٨٠هـ قام الأعراب بنهب الحجاج، إلا أنه لم يعمل على

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٧.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٨.

(٥) أبوالمحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٨٩.

(٦) المصدر السابق، ج ٥، ص ١١٠.

كف نهب الأعراب للحجاج والتصدى لهم ، كما أنه لم يقم بتنظيم الأمور الإدارية والاقتصادية في مكة وقرار الأمن بها<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من أن سيل الأعطيات كان ينهال عليه مرة من الخليفة العباسي ، وأخرى من الخليفة الفاطمي ، إلا أن الحجاج في نهاية عهده كانوا غير آمنين على أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

هذا ونلاحظ أن العباسيين كانوا أوفر حظا من الخلفاء الفاطميين من حيث تبعية محمد بن جعفر لهم ، وبالتالي كانت مدة سيادتهم على مكة في عهده أطول من مدة سيادة الفاطميين الذين شغلوا بالعمل على تثبيت سلطتهم في مصر<sup>(٣)</sup>.

وعلى أثر وفاة محمد بن جعفر سنة ٤٨٧ هـ ، خلفه ابنه قاسم الذي سار على نهج أبيه ، فأقام الخطبة للعباسيين ، مما جعل خلفاء الدولة العباسية يواصلون إرسال أعطياتهم له . فأرسل اليه الخليفة المستظهر أموالا وخلعا ، كما واصل ابنه المسترشد إرسال الاعطيات له . غير أن اماره مكة في عهده لم تنعم بالاستقرار ، إذ كثرت الفتن فيها ، ولم يستطع هو أن يقر الأمن بها أو أن يعمل على إصلاح الأمور في مكة<sup>(٤)</sup>.

ولما توفي قاسم بن محمد بن جعفر سنة ٥١٨ هـ ولي ابنه فليته اماره مكة . وبدأ فليته عهده باقامة الخطبة للخليفة العباسي المسترشد ، وعمل على نشر الأمن في مكة ، مما كان له أثر في نفوس سكان مكة والحجاج معا إذ تمتعوا في عهده بالرخاء والطمأنينة والأمن . كما أنه حرص على اظهار ولائه للخليفة العباسي المسترشد حتى وفاته في سنة ٥٢٧ هـ . غير أن ابنه هاشم الذي خلفه في اماره مكة لم يستمر في ولائه للخليفة العباسي المسترشد فقد أعاد الخطبة للخليفة الفاطمي الحافظ<sup>(٥)</sup>.

وهكذا نجد أن السمة العامة للعلاقات بين أشرف مكة والخلافتين العباسية والفاطمية هي التآرجح في التبعية لهما على حسب الأعطيات ووفرتها . وإن كان أمراء

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٥٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٣١ .

(٤) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٨٧ .

(٥) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٣٢ .



مكة لم يقطعوا حبل المودة مع الفاطميين حتى يكسبوا من وراء ذلك اغداق الأعطيات عليهم<sup>(١)</sup>. ومن دلائل ذلك السفارات، التي قام بها الشاعر عمارة اليمنى، بين أمير مكة والخليفة الفاطمي سنة ٥٥٠هـ<sup>(٢)</sup>.

كل هذا يوضح أثر الأعطيات وانعكاسها على العلاقات السياسية بين أشراف مكة وكل من الخلفاء العباسيين والفاطميين، ويوضح أن هذه الأعطيات كانت تتأثر بالأحوال الاقتصادية في كل من الدولتين العباسية والفاطمية<sup>(٣)</sup>.

وقد ظلت الخطبة تقام في مكة للخليفة العباسي المستنجد بالله حتى توفي الأمير قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦هـ<sup>(٤)</sup>. وفي هذه الفترة كان النفوذ الفاطمي في مصر بدأ يضعف مما شجع الأمير عيسى بن فليته الذي خلف الأمير قاسم في الإمارة على الاستمرار في إقامة الخطبة للخليفة العباسي. ولكن على الرغم من أن أمراء مكة أقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبنى العباس، إلا أنهم لم يقفوا ضد الخلافة الفاطمية، وحرصوا على إظهار ولائهم لها، وذلك بابقائهم الأذان (بحى على خير العمل) وهذا يعود إلى أن الخلفاء الفاطميين كانوا يبذلون قصارى جهدهم في استمرار علاقاتهم الطيبة بأمراء مكة وذلك باغداق الأعطيات عليهم وإرسال الحبوب والأموال إلى فقراء الحرمين<sup>(٥)</sup>.

وعلى الرغم من تنافس الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية على بسط النفوذ على الأراضي المقدسة، إلا أن هذا التنافس لم يأخذ طابع العنف. وذلك رغبة من الخلافتين في عدم جعل الأراضي المقدسة ميدانا للقتال<sup>(٦)</sup>.

وقد كان غرض الخلفاء الفاطميين من بسط نفوذها على الأراضي المقدسة، هو

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ١٩٠.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٥) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٧٤.

(٦) السباعي: تاريخ مكة، ص ١٩١.

كسب احترام واجلال العالم الاسلامى ، الذى كان يقدم كل الاحترام والاجلال للخلافة التى تبسط نفوذها وحمايتها على الأراضى المقدسة<sup>(١)</sup>. وقد استطاع الفاطميون كسب احترام العالم الإسلامى ، رغم ما عانوه من منافسة العباسيين لهم ، بعد أن استطاعوا أن يصدوا القرامطة عن مكة ، وأن يوجهوا اهتمامهم إلى العمل على حماية الأراضى المقدسة ، وتأمين الأمن للوافدين إليها على أرواحهم وأموالهم<sup>(٢)</sup>.

ونرى أيضا أن أمراء مكة والمدينة ، رغم سيل الأعطيات التى كانت تصلهم لم يقوموا باصلاحات تذكر ، لأنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الذاتية ، ويقدمونها فوق كل مصلحة ، ولم يكونوا يقيمون الخطبة للخلفاء العباسيين أو الفاطميين الا من أجل اشباع مطامعهم وليواصل هؤلاء واولئك امدادهم بالأموال ، فأدى ذلك إلى اضعاف شأن بلادهم وتأخيرها ماديا وعلميا<sup>(٣)</sup> فقد زار المقدسى بلاد الحجاز فى القرن الرابع الهجرى ، ووصفها بالفقر وقلة التعليم<sup>(٤)</sup>.

وما أن حل عام ٥٦٨ هـ ، عام سقوط الخلافة الفاطمية حتى انقطع رافد هام من روافد هذه الأعطيات ، كما قلت أعطيات الخلافة العباسية<sup>(٥)</sup>. مما دفع أمراء الركبان إلى اطعام حجاجهم بأنفسهم بتقديم الأطعمة لهم فى مشاعر الحج ، وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى سنة ٥٧٠ هـ ، وهو العام الذى أعاد فيه صلاح الدين الأيوبى ما كان قد انقطع من الأعطيات التى كانت تفد الى مكة .

وفى سنة ٥٧٠ هـ توفى الأمير عيسى بن فليته وخلفه فى الامارة داود . غير أن امارة داود لم تطل أكثر من نصف يوم ، لأن الخليفة العباسى المستضىء بالله حرض عليه أخاه مكثر الذى استطاع انتزاع امارة مكة منه بتقليد من الخليفة العباسى<sup>(٦)</sup> . وهذا

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميون الخارجية ، ص ٣٤ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٣٤ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ١٠٣ .

(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

يذكر لنا الغساني صاحب كتاب المسجد السبوك أن اماره مكة ظلت بيد مكثرتارة، وأخيه داود تارة أخرى حتى وفاة داود سنة ٥٨٩هـ<sup>(١)</sup>.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الخليفة العباسي لم يغير نظام ولاية مكة ويتزعمها من أسرة الأشراف الحسنية لأنه كان يطمع في اصلاح أنفسهم بتحريض الأمير مكثرتارة الذي وجد فيه العدل والاستقامة فولاه اماره مكة . وبدأ الأمير مكثرتارة عهده بالولاء التام للخليفة العباسي وللسلطان صلاح الدين اذ أمره السلطان صلاح الدين باسقاط المكوس عن الحجاج الذين يدخلون مكة . وكانت العادة قد جرت أن يؤخذ على كل حاج سبعة دنائير ونصف ، ومن دخل من الحجاج ولم يدفع المكس حبس حتى يفوته الوقوف بعرفة ولو كان فقيرا<sup>(٢)</sup> . ومقابل اسقاط المكوس عن الحجاج قام صلاح الدين بتعويض أمير مكة بأن أرسل الأموال والحبوب له وكانت جمعتها ثمانية آلاف أردب من القمح تحمل سنويا إلى جدة ، وأوقف على ذلك أوقافا بصعيد مصر ، بالإضافة إلى إرسال الأقوات للمجاورين والفقراء في الحرمين الشريفين<sup>(٣)</sup> . كما كان يرسل له كل عام مالا خاصا من أجل عمل الأطعمة في يوم عرفة<sup>(٤)</sup>.

ونستدل مما كتبه ابن جبير والفاشي أن المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج كانت تعد المورد الأساسي لامارة مكة ، ولذلك لم يكن بد من تحصيلها ولو بالعنف . وهكذا لم يستطع أمراء مكة التنازل عن تلك المكوس إلا عندما ضمن صلاح الدين لهم التعويض عنها بالأموال والسلع<sup>(٥)</sup>.

وقد حرص الأيوبيون السنيون على نشر المذهب السني في أرجاء دولتهم فأبطل

(١) الغساني : المسجد السبوك، ج ٢، ص ٢٢٦ تحقيق شاكرا عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥ م.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص ٥٥.

- الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٧، ص ١٠٩، ١١٠.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٠٩.

- الغساني : المسجد السبوك، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٥) ابن جبير: الرحلة، ص ٥٨.

- الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢١٢.



داود سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الأذان (بحى على خير العمل) في مكة مما دفع المؤرخون إلى القول بأنه قد ولى مكة . والحقيقة أن هذا العمل كان من جملة الأعمال التى قام بها صلاح الدين للقضاء على المذهب الشيعى فى جميع أرجاء دولته<sup>(١)</sup> . كما أن صلاح الدين بتعويضه أمير مكة عن اسقاط المكوس يكون قد قام بأهم عمل من أجل استتباب أمن الحج على وجه العموم دون أن يتدخل تدخلا مباشرا فى شؤون الامارة الداخلية لمكة<sup>(٢)</sup> .

وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ قسمت المملكة بين أولاده وأخيه العادل، وبدأ عهد جديد فى العلاقات بين مصر الأيوبية والحجاز، اذ تدخل الأيوبيون فى الشؤون الداخلية لامارة مكة والمدينة<sup>(٣)</sup> .

فشعر أكثر بحاجة إلى تثبيت مركزه ليتحاشى استبداد الخلافة العباسية، فبدأ بتكوين جيش نظامى وأخذ يشتري الأسلحة، كما أخذ يبنى القلاع لتكون له حصونا . ولكنه مع ذلك لم يخرج على طاعة العباسيين والأيوبيين<sup>(٤)</sup> .

غير أن أكثر ما لبث أن عاد إلى سوء معاملة الرعية وفرض على الحجاج المكوس وعمل التحصينات فى مكة مما دفع الخليفة العباسى إلى التفكير فى القضاء عليه<sup>(٥)</sup> .

فكلف الخليفة العباسى طغتكين أخا صلاح الدين بامارة الحج وكلفه بالقضاء على

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام، جـ ٢، ص ٢١٣ .

- أبوشامة : الروضتين، جـ ٢، ص ١٢٣ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى، جـ ٨، ص ٢٧٠ .

ويعتقد البعض أن عدم تدخل صلاح الدين فى الشؤون الداخلية لامارة مكة إنما يرجع الى انشغاله بمحاربة الصليبيين فى الشام . انظر:

- على السليمان : العلاقات الحجازية، ص ٨ .

(٣) ابن الجوزى : مرآة الزمان، جـ ٢، ص ٣٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل، جـ ١٠، ص ٥٧٨ .

- الفاسى : شفاء الغرام، جـ ٢، ص ٢١٤ .

- السباعى : تاريخ مكة، جـ ١، ص ٢٠٥ .

(٥) الفاسى : شفاء الغرام، جـ ٢، ص ٢١٥ .

مكثر بعد موسم الحج ، وتحريض أخيه داود عليه ، فاتحد داود مع طفتكين وتنازع الأخوان وتداول الامارة ، وبعد تنقلات عدة بقيت الامارة في مكثر حتى انتزعها منه سنة ٥٩٧هـ قتادة بن ادريس<sup>(١)</sup> . وبذلك انتهت ولاية الهواشم على مكة وبدأ عهد جديد وهو عهد أبوعزيز قتادة بن ادريس الحسنى المعروف بالنابغة ، وهو مؤسس أسرة الأشراف الأخيرة بمكة<sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن الخليفة العباسى لم يرغب في قيام قتادة بحكم مكة ، فلقد رتب أحد حجاج العراق على شريف من أقرباء قتادة ، في موسم سنة ٦٠٨هـ فقتله ، فاتهم قتادة أمير الركب العراقى فثار الأشراف وعبيدهم على حجاج الركب العراقى ، مما أدى إلى هروب أمير الركب العراقى ومعه بعض من الحجاج إلى منطقة الزاهر ، فخرج وراءهم الشريف قتادة بعسكره وانهاى عليهم بالضرب والقتل والنهب فالتجأ أمير الحاج العراقى إلى أمير الحاج الشامى وبهذا تدخل أمير الحج الشامى وحاول أن يهدىء الموقف . وقدم قتادة أسفه لما حدث منه وأرسل ابنه راجح إلى بغداد يعتذر للخليفة العباسى بما قام به وأعادهم الخليفة إلى مكة بهال وخلع كثيرة وقبل عذر قتادة<sup>(٣)</sup> .

ولقد توفى قتادة مقتولا في سنة ٦١٨هـ بعد أن تمكن من توسيع حدود إمارته من حدود اليمن جنوبا إلى المدينة المنورة شمالا ، وفي بعض سنوات إمارته أزال المكوس عن الحجاج ، بينما قام بفرضها ونهب الحجاج في بعض السنوات الأخرى<sup>(٤)</sup> . ويمكننا القول بأن هناك ظروفًا معينة غير واضحة قد أحاطت بوفاة قتادة ، فلقد سبق أن أرسل الخليفة العباسى هدية إلى حسن بن قتادة مع أمير الحج العراقى اقباش الناصرى في العام السابق لوفاة قتادة<sup>(٥)</sup> .

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ . De Gauy : Op cit, P. 63-64 .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ .

- الغسانى : المسجد النبوك ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، ٣٩٣ .

- السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) الغسانى : المسجد النبوك ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ : ٣٩١ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

ونستدل مما سبق على رغبة الخليفة في عزل قتادة تولية ابنه الحسن . ويعتقد ابن خلدون أن الذي قتل قتادة هو ابنه الحسن<sup>(١)</sup>. ولما علم أمير الحج العراقي بهذه الحادثة أيد راجحا الذي كان قد زاره بقصد الحصول على تأييده في تولية اماره مكة بدلا من الحسن . واستطاع أمير الحج العراقي وراجح أن يكونا جيشا للقضاء على الحسن ، ولكن جند الحسن كانوا أقوياء استطاعوا القضاء على أمير الحج العراقي وراجح<sup>(٢)</sup>. وعلى أثر ذلك أرسل الحسن إلى الخليفة العباسي يعتذر عما حدث منه ويخبره أن أمير الحج ناصر أخاه راجحا عليه فأجابه الخليفة على طلبه<sup>(٣)</sup>.

ويجدر بنا أن نذكر أن قتادة أدرك الموقف السياسي وخطورته عليه فأوصى أولاده وهو على فراش الموت بأن يعتذروا عن قبول أية دعوة توجه اليهم من سادة بغداد أو القاهرة ، فوجودهم في مكة هو سر قوتهم وهو الذي يدفع السادة المتنافسين إلى خطب ودهم ، كما أوصاهم بأن يحرصوا دائما على اقامة علاقات المودة مع اليمن لكي يتمكنوا من حفظ التوازن بين هاتين القوتين المتنافستين . وقد أصبحت هذه الوصية بمثابة دستور لم يحد عنه أشراف بنى قتادة في علاقاتهم مع سادة بغداد وسادة مصر<sup>(٤)</sup>.

ثم بدأ النزاع يدب بين راجح والحسن في سنة ٦٢٠هـ استطاع راجح أن يقضى على إمارة أخيه الحسن بواسطة جيش الملك سعود صاحب اليمن الذي ناصر راجحا واستطاع بواسطته احتلال اماره مكة . واستمر ذلك حتى بدأ الحسن بن قتادة يتصل بالأيوبيين في مصر مستنصر اياهم ضد أخيه راجح ، واستطاع الحسن من جانبه بعد أن استمال اليه القبائل العربية اعداد جيش من أجل القضاء على ولاية أخيه راجح

---

(١) ابن خلدون : المعبر، ج ٥ ص ٢١٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

- ابن واصل : مفرج الكروب، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

- السباعي : تاريخ مكة، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٤) أبي الضياء : قررة العيون بأخبار اليمن الميمون، ج ٢ ، ص ١٨ ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مطبعة السعادة ، ١٩٧٧م .

- أحمد دراج : ايضاحات جديدة، ص ١٩٧ .



ولكن وجود القوة العسكرية في مكة التي أعدها والى اليمن المسعود الأيوبي أوقفت كل هذه الموجات العدائية التي قام بها الحسن ضد أخيه راجح<sup>(١)</sup>. ويمكننا القول بأن الملك المسعود والى اليمن ظل ذا شوكة قوية على إمارة مكة. وبعد وفاة الملك المسعود والى اليمن سنة ٦٢٦هـ في مكة اضطرب أمر الحكم في مكة إذ قام الأيوبيون في مصر بمناوأة السيطرة اليمنية على مكة ودامت الاضطرابات بين الفريقين عدة سنوات<sup>(٢)</sup>.

فبعد أن علم نورالدين عمر بن علي بن رسول نائب الملك المسعود على اليمن بوفاة الملك المسعود نادى بنفسه ملكا على اليمن مما جعل الملك الكامل الأيوبي يرسل جيشا من مصر بقيادة طغتكين لاجلاء اليمنيين عن مكة فقاتلهم قتالا شديدا واستطاع أن يخطب في منابر مكة للملك الكامل الأيوبي وظل الأمر على ذلك ما يقرب من عام حيث استأنف اليمنيون هجومهم على مكة في جيش كثيف. وكان على رأس هذا الجيش راجح بن قتادة، إذ أن رؤساء مكة حينما علموا بقدوم هذا الجيش مالوا الى راجح مما جعل طغتكين يخرج من مكة وبذلك عادت مكة الى ملك اليمن نورالدين عمر ولم تزل الهجمات مستمرة على مكة، إذ أصبحت عرضة لهجوم القوات الأيوبية من مصر واليمنيين مرة أخرى<sup>(٣)</sup>. ولذلك توقفت الخدمات ما يقرب من ثمان وعشرين سنة بسبب هذه الهجمات المستمرة، وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب شفاء الغرام: (ان مكة قاست في هذه الفترة من الأهوال والمصائب مالا يوفى حصره وعانت من غلاء المعيشة وقلة الأرزاق مالا يطاق)<sup>(٤)</sup>. مما اضطر صاحب اليمن الملك المنصور ابن رسول أن يقود بنفسه جيش اليمن في سنة ٦٣٧هـ، سنة ٦٣٩هـ. ويقال: إنه في الموقعة الثانية أحرق دار الإمارة بما حوته من عتاد وسلاح، وظفر في هذه المرة باجلاء الأيوبيين عن مكة. ولما استقر له الأمر ابطل المكوس والجبايات، ولما قدم الحسن بن علي بن قتادة ولاءه إليه ولاءه على مكة<sup>(٥)</sup>.

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٧٣. - أبي الضياء: قرّة العيون، ج ٢، ص ٢٢.

(٢) الغساني: العسجد السبوك، ج ٢، ص ٤٣٨، ٤٣٩.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٨. - ابن الضياء: قرّة العيون، ج ٢، ص ٣٧.

وعاد راجح يناصبه العداء، ولكن ابا نمى بن الحسن حينما علم بخروج راجح على والده قطع عليه الطريق واستطاع ايقاع الهزيمة به، وبعد ذلك دخل أبونمى مكة<sup>(١)</sup>. وقد جعله والده شريكاً له في الإمارة وهو أول ابتداء حدث في الإمارة مكة. وقد أقر الملك المظفر صاحب اليمن الحسن ابن قتادة على تصرفه<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٦٤٨هـ قام أمير مكة بعد انتهاء الحج بمنع الناس من الخروج من مكة حيث إنه أغلق أبوابها إلا من وزن ديناراً عن نفسه وعن كل جمل لديه، فأعطاه الناس ما طلب. ولقد كان مجنّداً للمذهب الزيدى فعين مؤذناً لهم وإماماً خامساً في الحرم يؤم الزيدية، وجعل مقامه بين الركن اليماني، وقيل بأنه فعل هذا تقرباً من إمام الزيدية باليمن وقتذاك (المهدي لدين الله أحمد بن الحسين العلوي)<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٦٤٩هـ ذكر بأن الغلاء قد عظم في مكة، وقد ارتفعت الأسعار للخبز والحنطة والماء والتمر والعسل والدهن<sup>(٤)</sup>. ومنذ هذا العام بدأت تفد إلى مكة أعطيات سلطان بنى رسول الملك المظفر بن المنصور حتى يقال إنها شملت كل بيت في مكة، وأنه أطعم الحجاج في يوم عرفة، كما أنه كان يرسل الغلمان من اليمن لكى يقوموا بسقاية الحجاج في مشاعر الحج، وبهذا انتهى الدور السياسى لكل من الأيوبيين والعباسيين في الحج<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٦٥١هـ خرج جواز بن الحسن على أمير مكة الحسن بن قتادة وناصره في ذلك الأمر أمير الركب الشامى، ولكن جوازا لم تدم إمارته سوى شهر واحد إذ خرج عليه راجح بن قتادة بعد تحالفه مع صاحب اليمن وبمناصرة القبائل العربية المجاورة

(١) الفاسى: شفاء الغرام، جـ ٢، ص ٢٣٩.

- السباعى: تاريخ مكة، جـ ١، ص ٢١٩.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام، جـ ٢، ص ٢٣٩.

(٣) الفسانى: العسجد السبوك، جـ ٢، ص ٥٧٩.

(٤) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٨٣.

(٥) المقرئى: الذهب المسبوك، ص ٦٧.

- دخلان: خلاصة الكلام، ص ٣٠.

لمكة تم له إجلاء جمّاز عنها واستتب الأمر لراجح سنة ٦٥٢هـ<sup>(١)</sup>.

وما أن أستقر راجح في مكة حتى خرج عليه ابنه غانم وانتزع منه إمارة مكة، ولم يذكر المؤرخون أن قتالا وقع بينهما<sup>(٢)</sup>.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن راجح سئم النضال ومحاربة ابنه الذي تطلع إلى الإمارة وكان عامل كبر السن له أثر في ذلك إذ اعتزل في داره حتى توفي. ولكن غانم لم تدم مدة إمارته مما شجع أبناء عمومته من آل قتادة، وعلى رأسهم ادريس وابن عمه أبونمي على مهاجمته وانتزعوا منه الإمارة سنة ٦٥٣هـ. وقد استمر الشريكان على ولاية مكة حتى سنة ٦٥٥هـ<sup>(٣)</sup>. ويقول الفاسي في كتابه شفاء الغرام: (إن ادريس خرج من مكة لزيارة أحد أقاربه فاستغل أبونمي خروجه وأعلن نفسه أميرا على مكة وقضى على جميع الخلافات التي نشأت بين أبناء عمومته من الأشراف وبهذا استمر حكم أبي نمي حتى سنة ٦٥٨هـ<sup>(٤)</sup>).

ونتيجة لتلك الاضطرابات والخلافات تعطلت الخدمات في مكة منذ سنة ٦٥٢هـ حتى سنة ٦٥٥هـ فلم تظهر أية خدمات قدمت للحجاج في فترة موسم الحج<sup>(٥)</sup>. حتى أن زيادة المكوس والجبايات قد فرضت على الحجاج والتجار<sup>(٦)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أن إمارة مكة تأرجحت في السنوات الأخيرة بين المتنافسين مما أدى إلى اضطراب الأمن، الأمر الذي أدى إلى سوء الحالة الاقتصادية، ويمكن القول أن أحداً من أمراء مكة في هذه الفترة لم يقيم بأية خدمة للحجاج.

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٤٠.

- دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣١.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٣٤.

(٣) دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٣.

- السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٣٥.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٦) دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٤.

- السباعي: تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٣٦.





## الفصل الرابع

### خدمات الحجاج في المدينة المنورة

- ١ - الطريق من مكة الى المدينة وتوفير المياه للحجاج .
- ٢ - توفير المياه في المدينة المنورة :
  - أ - الآبار .
  - ب - العيون .
- ٣ - توفير الأطعمة للحجاج في المدينة المنورة .
- ٤ - توفير السكن للحجاج في المدينة فترة الزيارة :
  - أ - الدور .
  - ب - الأربطة .
- ٥ - أمكنة الزيارة والخدمات التي قدمت فيها .
- ٦ - أعطيات الخلفاء لولاة المدينة .





## ١ - الطريق من مكة إلى المدينة وتوفير المياه وسبل الراحة للحجاج :

ويمر الحجاج في طريقهم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بخمس مراحل وهذا وصفها:

**المرحلة الأولى :** من مكة المكرمة إلى وادي فاطمة، ولا يرحلون منه إلى وادي عسفان الا بعد أن يتزودوا من مياهه<sup>(١)</sup>.

**المرحلة الثانية :** من وادي فاطمة إلى عسفان، وهي على بعد مرحلتين، وبها آبار وعيون يتزودون منها بالماء مستعدين للرحيل إلى خليص<sup>(٢)</sup>.

**المرحلة الثالثة :** من عسفان إلى خليص، وهي على بعد مرحلتين ويوجد بها أسواق وعيون، فيتزودون منها بالمأكّل من الأسواق والماء من العيون<sup>(٣)</sup>.

**المرحلة الرابعة :** من خليص إلى قرية رابغ وهي على بعد ثلاث مراحل وتقع في شمال جدة على ساحل البحر الأحمر ومنها يرحلون إلى بدر<sup>(٤)</sup>.

**المرحلة الخامسة :** من رابغ إلى بدر وهي على بعد خمس مراحل. وتوجد بها الآبار التي يتزود منها الحجاج بالماء ثم يرحلون منها إلى محطات صغيرة لا يمكنهم فيها كثيرا<sup>(٥)</sup>. وفي طريقهم يمرون ببئر خليص ثم منها إلى بئر درويش ثم إلى ذي الحليفة<sup>(٦)</sup>.

ونظرا لحاجة الحجاج إلى المياه في طريق مكة المدينة فقد حرص خلفاء الدولة

(١) ياقوت: معجم جـ ٥، ص ٧٩.

- ابن جبير: الرحلة، ص ٦٢.

- ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ ٢، ص ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢١٠.

(٣) لبتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٥٩.

(٤) ابن جبير: الرحلة، ص ٦٤.

(٥) ابن جبير: الرحلة، ص ٦٥.

- البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٦٠.

(٦) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، جـ ٢، ص ١٦٠.

البتنوني: الرحلة الحجازية، جـ ٢، ص ١٦٢.

الإسلامية على توفيرها كما حرصوا على إصلاح الطريق من مكة إلى المدينة .  
 ففي سنة ١٨هـ أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بإصلاح الآبار في الطريق ، كما أمر بحفر بئر في عسفان<sup>(١)</sup> .  
 وفي سنة ٢٦هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أصلحت بعض الآبار في الطريق من مكة إلى المدينة<sup>(٢)</sup> .  
 وبعد أن آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان أمر في سنة ٤٤هـ بإصلاح بعض الآبار التى تعطلت في طريق المدينة وأمر بزيادة عدد آبار بدر والجحفة<sup>(٣)</sup> .  
 وفي سنة ٧٨هـ أمر الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان بإصلاح الآبار التى تعطلت في الطريق من مكة إلى المدينة وأمر بحفر آبار أخرى<sup>(٤)</sup> .  
 وفي سنة ٨٧هـ أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك أصلحت عين خليص وزال عنها الخراب الذى تعرضت له وكان سببه السيول التى داهمت هذه العين وخربتها<sup>(٥)</sup> .  
 وفي سنة ١٣٣هـ أمر أبو العباس السفاح واليه على مكة والمدينة بأن يقوم بزيادة عدد الآبار التى تقع في الطريق من مكة إلى المدينة لكى لا يجد الحجاج صعوبة في حصولهم على الماء . كما أمر بوضع الاشارات في الطريق لكى ترشد الحجاج لمعرفة الطريق والأماكن<sup>(٦)</sup> .  
 وفي سنة ١٣٨هـ أمر أبو جعفر المنصور ببناء البرك في طريق مكة / المدينة . وقد عملت في هذه السنة بركتان ، بركة في عسفان والأخرى في بدر، من أجل تخزين مياه الأمطار للاستفادة منها في سقاية الحجاج أثناء مرورهم بالطريق<sup>(٧)</sup> .

(١) قطب الدين : تاريخ المدينة ، ورقة ٢٣ .

- الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٤ .

(٤) المراغى : تحقيق النضرة ، ص ٧٠ .

(٥) ابن الاثير: الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٢ .

(٧) المراغى : تحقيق النضرة ، ص ٧٣ .

وفي سنة ١٦٠ هـ أمر المهدي باضائة الطريق بواسطة الشموع . كما أمر صاحب البريد ببناء محطات للبريد بين مكة والمدينة حتى يكون على علم بأحوال الحجاج طوال رحلتهم من مكة إلى المدينة<sup>(١)</sup>. وفي العام التالى لهذه الاصلاحات زيد عدد البرك في الطريق بين المدينتين<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ١٧٠ هـ أمر هارون الرشيد باصلاح بعض الآبار التى خربتها الأمطار في طريق مكة المدينة، ومن أهمها: آبار بدر<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٢٠٢ هـ أمر المأمون بإصلاح طريق مكة المدينة كما أمر باصلاح بعض الآبار التى تقع على ذلك الطريق لكى يتزودوا بالماء منها<sup>(٤)</sup>.

وعندما أصبحت الحجاز تابعة لولاية أحمد بن طولون فى سنة ٢٥٧ هـ قام فى نفس ذلك العام باصلاح الطريق من مكة الى المدينة، ولقد اهتم بحفر الآبار وإصلاح البعض منها، وأهمها الآبار التى فى عسفان والجحفة، كما أصلح بعض الخراب الذى حدث فى عين خليص<sup>(٥)</sup>.

هذا ولم تذكر لنا المصادر التاريخية اصلاحات حدثت فى ذلك الطريق بعد هذه الفترة الزمنية الا فى زمن محمد بن طنج الاخشيدي. ففي سنة ٣٢٠ هـ أمر الأخشيدي باصلاح بعض الآبار التى تعرضت لخراب السيول فى طريق مكة المدينة<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٣٥٩ هـ أصلح طريق مكة المدينة بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، كما أصلحت الآبار التى طمرت فى الطريق لكى لا يجد الحجاج صعوبة فى حصولهم على الماء<sup>(٧)</sup>.

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٤٨.

(٢) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٠١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٠٧.

(٤) المصدر السابق: جـ ٦، ص ٢١١.

(٥) ابوالمحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ٢، ص ١٣٩.

(٦) المصدر السابق: جـ ٣، ص ٢٣٤.

(٧) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٤٥.



وفي سنة ٣٩٠هـ أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بإصلاح الطريق من مكة إلى المدينة، وإصلاح بعض الآبار التي تعرضت للخراب<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٤٢٧هـ أمر الخليفة المستنصر بالله بإصلاح الآبار الواقعة بين بدر ورابع وأصلح عين خليص التي تعرضت للخراب في تلك الفترة الزمنية<sup>(٢)</sup>.

هذا ولم تحدث أية إصلاحات للطريق والآبار منذ سنة ٤٥٧هـ حتى سنة ٥٦٩هـ، فحينما تعطلت بعض الآبار في طريق مكة المدينة سنة ٥٦٩هـ أمر الخليفة المستضيء بالله العباسي بإصلاح الطريق والآبار التي تقع فيه<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٥٧٢هـ أمر صلاح الدين الأيوبي بإصلاح الطريق والآبار التي تقع فيه كما أمر بإصلاح البرك التي تعرضت للخراب في ذلك الطريق<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذا التاريخ لم تحدثنا المصادر عن أية إصلاحات لطريق مكة المدينة، أو ما حدث به من خراب في الآبار حتى نهاية الحقبة الزمنية.

## ٢ - توفير المياه في المدينة المنورة:

لا يصيب الحجاج أى عناء في سبيل الحصول على الماء وهم في المدينة المنورة، ذلك أن المدينة تقع في منطقة كثيرة المياه، كما أن بيوتها تشتهر بوجود الآبار داخلها<sup>(٥)</sup>.

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون وخلفاء بني أمية وأهالي المدينة أنفسهم بحفر الآبار في المدينة مما أدى إلى زيادة عددها<sup>(٦)</sup>. ومن الجدير بنا أن نذكر أن المدينة المنورة خلال الحقبة الزمنية لهذا البحث لم تتعرض لأية أزمة في المياه، كما لم يحدث أى خراب لعيونها أو آبارها لبعد موقعها عن مجارى الأودية التي تجري فيها السيول.

(١) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٤٩.

(٢) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٦.

(٣) الجزيري: درر الفوائد، ص ٢٥٤.

(٤) أبوشامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٥١.

(٥) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٤٢.

(٦) قطب الدين: تاريخ المدينة المنورة، ورقة ٣٨.

هذا وآبار المدينة وعيونها عديدة، ومن أشهرها وأهمها:

أ - الآبار :

- بئر أنا :

هذه البئر عرفت في العصر الجاهلي وتعود لبني قريظة، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بجوارها قبته حين حاصر يهود بني قريظة. ولقد شرب من هذه البئر، بعد أن أجلى هذه القبيلة وأصبحت هذه البئر تابعة للمسلمين يستفيدون منها لسقي مزارعهم<sup>(١)</sup>. وهذه البئر لا تعرف في الوقت الحاضر<sup>(٢)</sup>. ويمكن القول بأنها في منطقة العوالي بالمدينة حيث كانت تقع مساكن بني قريظة.

بئر أنس :

وهي معروفة منذ العصر الجاهلي، وتشتهر بعدوبة مائها وهي ملك لأنس بن مالك بن النضر، وقد شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أحسن العوم فيها وهو في سن السادسة<sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا يذهبون الى هذه البئر من أجل أن يتبركوا بها. ويقول صاحب كتاب عمدة الأخبار إن هذه البئر أهملت ولم يعرف مكانها<sup>(٤)</sup>.

بئر اهاب :

وهي لسعد بن عثمان، وتقع بالحرّة، وهي معروفة منذ الجاهلية. أتاها الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرب منها فأصبح أهل المدينة يشربون من مائها ويسمونها زمزم<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج ١، ورقة ١٠٢.

(٢) عبدالقدوس الأنصاري: آثار المدينة، ص ٢٤١.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٥٣.

(٤) العباس: عمدة الأخبار، ص ٢٦٦.

(٥) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج ١، ورقة ١٠٣.

- السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٥٢.

### بئر جاسوم :

ويقول لها جاسم ايضاً، وهى لأبى الهيثم، وتتصف بعدوبة مائها، ولقد شرب الرسول صلى الله عليه وسلم منها وتوضأ وصلى بجوار دار ابن الهيثم<sup>(١)</sup>.

### بئر جمل :

يحتمل أن هذه التسمية ترجع إلى جمل مات فيها أو أن الذى بناها رجل اسمه جمل، وكانت معروفة منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد توضأ منها وشرب وهى تقع قرب البقيع<sup>(٢)</sup>.

### بئر حلوة :

وتقع فى زقاق حلوة الذى فيه دار آمنة بنت سعد<sup>(٣)</sup>، ويقال إنها حفرت فى زمن خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه<sup>(٤)</sup>، ويقول السمهودى صاحب كتاب وفاء الوفاء: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شرب من هذه البئر، وهى معروفة منذ أن هاجر الرسول غير أنه لا يعرف من حفرها، وكانت هذه البئر وقفاً لمن أراد أن يتزود منها بالماء وكان الحجاج يقصدونها من أجل سقياهم<sup>(٥)</sup>.

### بئر زرع :

وهى لبنى خطمة، وتقع بجوار مسجدهم، ولقد توضأ منها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبصق فيها<sup>(٦)</sup>. ومن المعلوم أن هذه البئر قد عرفت منذ العصر الجاهلى، وكانوا يستفيدون منها فى شتى المزارع المحيطة بها<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج ١، ورقة ١٠٤.

- السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٦١.

(٣) المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٠٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٥) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٦٢.

(٦) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج ١، ص ١٠٥.

(٧) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٦٦.

- المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٢١.



### بئر العقبة :

وهذه البئر هي التي أدلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبوبكر وعمر رضى الله عنهما ، ولم يعرف موضع هذه البئر ولا أين تقع<sup>(١)</sup>.

### بئر ابن عتبة :

تقع خارج المدينة بميل واحد ، ولقد عسكر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بجوارها حينما ذهب لغزوة بدر الكبرى ، ثم عرفت بعد ذلك ببئر ودي<sup>(٢)</sup> . وهي أعذب من بئر أنا ، وقد عرفت منذ العصر الجاهلي وتقع شمال بئر السقيا<sup>(٣)</sup>.

### بئر العهن :

وهي بئر عذبة منقورة في جبل نزل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضاً من مائها ، وتعتمد المزارع المحيطة بها على مياهها<sup>(٤)</sup> . وتقع هذه البئر في منطقة العوالي<sup>(٥)</sup>.

### بئر القريضة :

يقال بأنها تقع شرق المدينة . توضاً منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرب منها ويقال إن خاتمه وقع فيها ، وهي معروفة حتى اليوم ببئر الخاتم<sup>(٦)</sup>.

### بئر اليسيرة :

اسمها في الجاهلية العسيرة ، ولما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار هذه

---

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ٩٧٦.

(٢) العباسي: عمدة الأخبار، ص ٢٥١.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ٩٧٧.

- المراغي: تحقيق النضرة، ص ١٢٢.

(٤) الانصاري: آثار المدينة، ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٦) العباسي: عمدة الأخبار، ص ٢٢٦.

- المراغي: تحقيق النضرة، ص ١٢٤.

البشر، وقف وسأل ما اسمها؟ قالوا له: اسمها العسيرة، فقال: لا ولكن اسمها اليسيرة، فتوضأ منها وشرب وسميت بعد ذلك بهذا الاسم<sup>(١)</sup>.

### بئر أريس :

تقع هذه البئر شمال غرب مسجد قباء، وتنسب إلى رجل من اليهود اسمه اريس . ولقد اشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه بئاله الخاص<sup>(٢)</sup>. ولقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى هذه البئر وتوضأ منها ومعه أبوبكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، ويقال إن خاتم النبي صلى الله عليه وسلم، سقط فيها من يد عثمان بن عفان بعد خلافته بستة أعوام<sup>(٣)</sup>. وتعرف ببئر الخاتم وتشتهر بعذوبة مائها<sup>(٤)</sup>.

### بئر رومة :

تقع في شمال غرب المدينة على الضفة الغربية لوادى العقيق، وتنسب إلى رومة الغفارى<sup>(٥)</sup>. ويذكر بأنها عمرت عدة مرات . ولقد اشتراها عثمان ابن عفان رضى الله عنه، وتصدق بها لكافة المسلمين يستقون منها<sup>(٦)</sup>. ويذكر بأن آخر من جددها هو القاضي شهاب الدين الطبرى قاضى مكة<sup>(٧)</sup>.

### بئر غرس :

تقع شمال شرق مسجد قباء، على بعد نصف ميل تقريبا، وقد عرفت منذ العصر

---

(١) العباس : عمدة الاخبار، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة، ج ١، ورقة ١٠٥ .

- السمهودى : وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٨٥ .

- العباس : عمدة الاخبار، ص ٢٥٣ .

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٣٢ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٨٥ .

(٥) ابن شبه : تاريخ المدينة، ج ١، ورقة ١٠٥ .

(٦) ابن هشام : السيرة، ج ٣، ص ٩٢ .

(٧) قطب الدين : تاريخ المدينة المنورة، ص ٩٨٥ .

الجاهلي، وهي تعود لقبائل الخزرج حفروها من أجل سقيا مزارعهم الخاصة بهم، ويعرف موضعها باسم الغرس<sup>(١)</sup>. ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب منها، وإنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، اغسلني من ماء بئر غرس<sup>(٢)</sup>.

### بئر حار :

هذه البئر ملكا لأبي طلحة الخزرجي، وقد جعلها وقفا للمسلمين ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى. وتتصف بعذوبة مائها. وتقع خارج سور المدينة المنورة<sup>(٣)</sup>.

### بئر بضاعة

كانت ملكا لبني ساعدة وماؤها عذب، وقد توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وشرب<sup>(٤)</sup>.

ويقال عن أسماء بنت أبي بكر الصديق (كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون)<sup>(٥)</sup>. لعل من هذا النص يتضح أن هذه البئر كانت مباركة. لهذا كان الحجاج يذهبون إليها<sup>(٦)</sup>.

### بئر السقيا :

سميت بهذا الاسم لأن النبي صلى الله عليه وسلم، كان دائما يستقي منها<sup>(٧)</sup>.

---

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ٩٨٥.

(٢) ابن شبه: تاريخ المدينة، جـ ١، ورقة ١٠٧.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ٩٨٦.

العباس: عمدة الأخبار، ص ٢٥٤.

(٤) ابن هشام: السيرة، جـ ٣، ص ٩٤.

- السمهودي: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ٩٨٦.

(٥) ابن شبه: تاريخ المدينة، جـ ١، ص ١٠٧.

(٦) عبد القدوس الانصاري: آثار المدينة، ص ٩٥.

(٧) ابن هشام: السيرة، جـ ٣، ص ١٠٢.



وكانت هذه البئر لبنى زريق من الأنصار، ثم اشتراها محمد بن أبي وقاص وجعلها لسقيا المسلمين<sup>(١)</sup>.

### بئر القراض :

صاحبها عبدالله بن عمرو بن حرام ، وكانت تقع جهة مسجد الخربة في غرب مسجد الفتح ، وهى الآن غير معروفة<sup>(٢)</sup>.

### بئر عروة :

تقع هذه البئر على ضفاف وادي العقيق ، وتنسب إلى عروة بن الزبير ابن العوام . وقد اشتهرت هذه البئر بعذوبة مائها . ولذلك أصبح جميع الزوار يذهبون لهذه البئر من أجل أن يشربوا منها فأصبحت لها شهرة<sup>(٣)</sup>.

### بئر أبي أيوب :

تقع شمال البقيع ، وتنسب إلى أبي أيوب الانصارى ، وماؤها يشتهر بعذوبته وغزارته ، ويقصدها الحجاج ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد سكن في دار أبي أيوب حينما هاجر الى المدينة<sup>(٤)</sup>.

### بئر فاطمة بنت الحسين :

لقد حفرت السيدة فاطمة بنت الحسين بئرا بالحرّة الغربية جنوب غرب المدينة ، وقامت بحفر هذه البئر بنفسها ، ثم أكمل الحفر العمال وجعلتها لسقيا المسلمين<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الانصارى : آثار المدينة ، ص ٩٧ .

(٢) ابراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضى ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن شبه : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ورقة ١١٣ .

- السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

(٥) ابن شبه : تاريخ المدينة ، ج ١ ، ورقة ١١٤ .

- السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٩٠ .

- العباسى : عمدة الاخبار ، ص ٢٥٦ .

## ب - العيون :

### عين الخيف :

تقع شمال شرق المدينة المنورة، من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسبع، وقد صنع لهذه العين مجارى وقنوات في السنة السابعة من الهجرة لرى المزارع المحيطة بالمدينة<sup>(١)</sup>.

ولقد قام سكان المدينة بعمل القنوات الخاصة لكل بستان لكى يصب فيها ماء العين. وفي هذا المقام نشير إلى أن هذه العين لم يستفد منها فى سقاية أهل المدينة سوى حجاج الركب الشامي، لأنها تقع فى مدخل طريق الحج الشامي<sup>(٢)</sup>.

والغرض من إقامة هذه العين هو تحسين الزراعة، وزيادة الانتاج الزراعى، وقد قام خلفاء دولة الراشدين والدولة الأموية والدولة العباسية باجراء اصلاحات لهذه العين. ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أصلحت هذه العين فى سنة ١٧ هـ وجدد حفر بعض القنوات المتصلة بها<sup>(٣)</sup>.

وفى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز زيد فى عدد قنواتها وأصبحت بعد ذلك تسقى جميع المزارع<sup>(٤)</sup>.

وفى عهد أبى جعفر المنصور سنة ١٤١ هـ أصلح الخراب الذى حدث لهذه العين من الجهة الجنوبية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ١٢٨.

(٢) الانصارى: آثار المدينة، ص ١٠٢.

- على حافظ: فصول من تاريخ المدينة، ص ٣٨.

(٣) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٩٩١.

- ابراهيم العياش: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ١٤٢.

(٤) المقرئى: الذهب المسبوك، ص ٣٠.

- عبد القدوس الانصارى: آثار المدينة، ص ١٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص ١٠٤.

وفي عهد هارون الرشيد أمر واليه بزيادة عدد قنواتها واصلاح الخراب الذى حدث بها<sup>(١)</sup>. هذا ولم تذكر لنا المصادر أية اصلاحات حدثت لهذه العين بقية الفترة الزمنية لهذا البحث.

### عين الشهداء :

تقع هذه العين قرب جبل أحد شمال المدينة<sup>(٢)</sup>. وتنقسم المصادر التاريخية ازاء تاريخ نشأة هذه العين إلى قسمين :

القسم الأول: يزعم أن معاوية بن أبى سفيان هو الذى أمر بإنشائها سنة ٥٠هـ<sup>(٣)</sup>. والقسم الثانى : والذى نميل اليه، يذكر أنها عين قديمة خاصة بالبساتين والمزارع التى تقع شمال المدينة<sup>(٤)</sup>. وبعد مقتل حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد اصطلح على تسميتها بعين الشهداء نسبة إلى شهداء أحد، أو بعين حمزة نسبة الى حمزة بن عبدالمطلب<sup>(٥)</sup>.

ومن المعلوم أن هذه العين حدث بها خراب، وأنها لم تعمّر منذ سنة ٩٣هـ ، ولذلك لم يستفد منها منذ ذلك التاريخ<sup>(٦)</sup>.

أما العين التى أمر بإنشائها الخليفة معاوية بن أبى سفيان فتقع جنوب غربى المدينة فى منطقة قبا وليست هذه العين، وتسمى عين الزرقاء.

---

(١) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة، ص ١٠٤.

(٢) السمهودى : وفاء الوفاء، ج ٣، ص ١٠٠٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٠٣.

- ابراهيم العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى، ص ١٤٤.

(٤) قطب الدين : تاريخ المدينة، ورقة ٦٠.

- المراغى : تحقيق النضرة، ص ١٣٤،

(٥) عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة، ص ١٠٤.

- على حافظ : فصول فى تاريخ المدينة، ص ٤٠.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٢.



## عين الزرقاء :

تقع عين الزرقاء جنوب غرب المدينة المنورة، وتستمد ماءها من عين تسمى الجعفرية، ولكي يصل ماؤها إلى المدينة أوصل بمياه آبار عديدة بواسطة قنوات صنعت لتصل هذه الآبار ببعض وتلتقى بعين الزرقاء في مجرى واحد ينقسم في داخل المدينة إلى ثلاث قنوات تسكب ماءها في ثلاثة بازانات رئيسية أنشئت بداخل المدينة من أجل سقى أهل المدينة والحجاج في فترة الزيارة<sup>(١)</sup>.

والذي أمر بعمل هذه العين هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ هـ بعد أن رأى الراحة التي يتمتع بها أهل الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلادهم<sup>(٢)</sup>. وكان هدف معاوية من إجراء هذه العين واهتمامه بها من أجل استمالة أهل المدينة إليه<sup>(٣)</sup>.

ويقال إن هذه العين سميت بالزرقاء نسبة إلى مروان بن الحكم وإلى المدينة حيث أنه كان أزرق العينين<sup>(٤)</sup>. ويقال أنها سميت الزرقاء لأنها تستقى ماءها من بئر الأزرق الذي يقع بجوار عين جعرانة<sup>(٥)</sup>.

وحرصا على استمرار هذه العين من أجل سقى أهل المدينة والحجاج وتوفير المياه لهم، قام الخلفاء بعمل عدة إصلاحات بها.

ففي سنة ١٤١ هـ أمر الخليفة أبوجعفر المنصور بعمل البازانات شمال المدينة وغربها، وأوصل هذه البازانات بقنا عين الزرقاء<sup>(٦)</sup>.

---

(١) المراغي: تحقيق النظر، ص ١٣٥.

- الانصاري: آثار المدينة، ص ١٠٧.

(٢) أحمد الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية في القرن اول الهجري، ص ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج-٣، ص ١٠٠٦.

(٥) المراغي: تحقيق النظر، ص ١٤٨.

- ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ١٨.

(٦) ابن الاثير: الكامل، ج-٥، ص ٥٠٧.

وفي سنة ٢١٠هـ حينما علم المأمون بأن خرابا حدث ببعض قنواتها أمر واليه على المدينة المنورة باصلاح هذه القنوات التي تصدعت<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٦٠هـ قام ابن أبى الهيجاء<sup>(٢)</sup> بعمل بازانات تحت الأرض تصلها المياه من عين الزرقاء بواسطة قنوات انشئت من أجل ذلك، وكان السقاة ينزلون اليها بواسطة سلاط بنيت خصيصا لهذا الغرض، كما وضع عمالا للاشراف على هذه البازانات ولتنظيم مساقط المياه فيها<sup>(٣)</sup>. وفي نفس العام أمر ابن أبى الهيجاء بايصال الماء داخل المسجد النبوي الشريف، ولكن لسوء استعمال الحجاج للمياه واستخدامهم اياه للوضوء أمر والي المدينة في السنة التالية باخراج هذه القناة إلى خارج المسجد النبوي<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذا التاريخ لم تذكر المصادر أية اصلاحات أجريت للعين خلال الفترة الزمنية المتبقية من هذا البحث.

### ٣ - توفير الأطعمة للحجاج في المدينة المنورة :

ساعدت خصوبة التربة ووفرة مياه الآبار والعيون على كثرة المزارع وكثرة المشتغلين فيها حتى أصبحت الزراعة الحرفة الرئيسية لأهل المدينة<sup>(٥)</sup>. وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تشير إلى زراعة النخيل والأعناب والمحاصيل الأخرى، ومن بينها الحبوب والبقول في المدينة. وكانت هذه الزراعات توفر الجزء الأكبر من حاجة السكان

(١) عبد القدوس الانصارى: آثار المدينة، ص ٢٦٢.

- ابراهيم العياشى: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٢٢٩.

(٢) ابن أبى الهيجاء: هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥، اشتغل بالشعر، وهو من شعراء العصر العباسي الثاني.

ولقد قصد الحج سنة ٥٦٠هـ وقام بأعمال خيرية في المدينة المنورة. انظر:

- خير الدين الزركلى: الاعلام، ج ٩، ص ١١٩.

(٣) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ١١١٨.

(٤) المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٣٦.

(٥) البتنونى: الرحلة الحجازية، ص ٥٣.

- أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٥٦.

الغذائية<sup>(١)</sup>. وبالإضافة الى الزراعة فقد اشتغل أهل المدينة بالرعى والصيد.

فلقد كانت الحرفة الرئيسية لسكان المدينة المنورة هي الزراعة نظرا لطيبة تربتها، اذ أن تربتها بركانية خصبة، كما كانت تسيل بها وديان كثيرة وتفيض بمياه السيول في الغرب والشمال، ومن أهم المزروعات في المدينة أشجار النخيل التي كانوا يزرعونها بفارس فكانت لديهم أنواع كثيرة من التمر الذي كان جل طعامهم، بل كان أساس التعامل بينهم، فكانت تدفع منه الأجور وتسدد الديون، كما كانوا ينتفعون بكل شيء من النخلة حتى لقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم، المؤمن بالنخلة كل ما فيه خير<sup>(٢)</sup>.

كما اهتم المزارعون في المدينة بزراعة الشعير الذي كان يزرع بين أشجار النخيل، كما اهتموا بزراعة القمح والكروم وأنواع من الفواكه كالرمان والموز والليمون البطيخ وأنواع من الخضار والبقول كالقرع واللوبيا والسلق والبصل، والثوم والقثاء<sup>(٣)</sup>.

وكان أهل المدينة يعملون بالزراعة، فمنهم من كان يملك الأرض الواسعة فيزرعها لحسابه أو يزارع عليها غيره أو يؤجرها<sup>(٤)</sup>.

ولقد انتعشت الزراعة في المدينة بعد أن استقرت أحوال المهاجرين وقضى على المنازعات الداخلية فاستغلت الأراضي وأصلح مواتها وأعدت للزراعة لتوفير الطعام لأهل المدينة ومن يفد إليها من سكان البادية والحجاج في مواسم الحج<sup>(٥)</sup>.

وعلى الرغم من أن منطقة المدينة لم تكن بلاد رعى لأن أرضها صالحة للزراعة وانتاج الحاصلات الزراعية، الا أن هناك قبائل بدوية كانت تقوم بالرعى على ما ينبت في منطقة المدينة من أشجار وشجيرات رعوية بالقرب من مجمع الأسياح، وإلى جنوب المدينة على طريق مكة كانت هناك مراعى حماها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٥) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٨٦.



الهجرة لإبل الصدقة ترعاها حتى توفر هذه الإبل من ألبانها وصوفها ما يحتاجون اليه من طعام<sup>(١)</sup>

وكان الصيد من مصادر الطعام أيضا، فكان حرفة من الحرف التي زاوها سكان المدينة الحضر منهم وأهل البادية، وكان وسيلة من وسائل المعاش عند بعض الناس، ولقد تعددت وسائل الصيد، وكانت حيوانات الصحراء التي تصاد هي الحمر الوحشية والغزلان والأرانب والضباب، كما زاولوا أيضا صيد البحر، ولقد ورد ذكر الصيد بنوعيه في القرآن الكريم مما يدل على أن الناس كانوا يزاولونه ينتفعون به ويعولون عليه في حياتهم ومعاشهم<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية مصادر العيش هذه فقد بذل الرسول صلى الله عليه وسلم، جهودا في تنظيمها وحمايتها لاعتماد أهل المدينة عليها في طعامهم.

وقد ظهر أثر هذا التنظيم والتشريعات الإسلامية في الحياة التجارية واضحا في النهي عن الربا ومنع استخدام الوسائل غير الشرعية في البيع والشراء والمعاملات، والنهي عن الخداع وتلقي الركبان، والنهي عن بيع الطعام قبل أن يصل السوق، والنهي عن الغش واعتبار الغاش خارجا عن الجماعة<sup>(٣)</sup>.

وكان لتحديد الكيل والوزن أساس في البيع وكان له أثره الكبير في تسهيل الحياة التجارية والوصول الى وضع الاستقرار وتوفير الطعام لجميع السكان سواء كانوا مقيمين أو زوارا<sup>(٤)</sup>.

ولقد نظم الرسول صلى الله عليه وسلم، الأسواق المختلفة التي أقيمت في

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٤١٥.

- ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٩١.

(٢) السهوي: وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٥٨.

- المراغي: تحقيق النضرة، ص ٢٨.

(٣) علي المالكى: الشافى الصغير، ورقة ٩٦.

(٤) المصدر السابق، ورقة ٩٧.

المدينة، وخصص لكل فئة من التجار مكانا خاصا بها. وكان يباع في هذه الأسواق انتاج المدينة من المحاصيل<sup>(١)</sup>، وبعد أن بدأ يفد إلى المدينة تجار الأمصار الإسلامية أصبحت الحركة التجارية أكثر نشاطا واستقرارا في ظل الدولة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الفترة قامت في المدينة صناعات مختلفة، اعتمدت على الانتاج الزراعى. فقد سكن المدينة صناع متخصصون احترفوا أنواعا من الصناعات وبخاصة صناعة الحلى والأسلحة<sup>(٣)</sup>.

هذا ويتضح لنا من دراستنا الفاحصة لهذه الحقبة الزمنية التى تخص هذا البحث، أن المصادر لم تذكر لنا أية أزمة اقتصادية واجهت أهالى المدينة المنورة وزوارها سوى فى عام الرمادة فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ففى حج عام ١٨ هـ امتحن الله المسلمين بالجوع والظما فلم ينزل المطر واشتدت الحرارة فى ذلك العام فاحترقت الأرض وأسود لونها كأنها الرماد فسمى هذا العام بعام الرمادة. وقد اضطر الخليفة أن يكتب إلى عماله فى الأقاليم يأمرهم بأن يرسلوا الامداد والمؤنة ليتمكن من إطعام سكان المدينة والحجاج عن طريق الموائد العامة<sup>(٤)</sup>، وقال قولته المشهورة: (نطعم ما وجدنا أن نطعم فان أعوزنا جعلنا مع كل بيت ممن يجد عدتهم، لا يجد، إلى أن يأتى الله بالحيا)<sup>(٥)</sup>.

#### ٤ - توفير السكن للحجاج فى المدينة المنورة فى فترة الزيارة:

لا جدال فى أن مساحة المدينة المنورة العمرانية أقل من مساحة مكة المكرمة، كما

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) ابن الاثير: الكامل، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٦.

- البتنونى: الرحلة الحجازية، ص ٥٨.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج ٢، ص ٥٥٢.

- الجزيرى: درر الفوائد، ص ١٨٧.

- ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج ١، ص ٤٤٩.

(٥) ابن الاثير: الكامل، ج ٢، ص ٥٥٣.

أن أكثر بيوتها أقيمت حول المسجد النبوي. وهذه المباني تتكون من طابقين وثلاثة شيدها أهل المدينة من الحجارة<sup>(١)</sup>.

وعندما تعرضت المدينة لاعتداء القبائل العربية المجاورة لها، وبدأ اعتداء القرامطة على مكة سنة ٣١٧هـ طلب أهلها من الخليفة العباسي المقتدر بناء سور حول المدينة لحمايتهم من أى اعتداء يقع عليهم. فاستجاب الخليفة لطلبهم وتم فى سنة ٣١٨هـ بناء سور منيع أحاط بالمدينة وجعل له أربعة أبواب: بابا بالشرق وبابا بالمغرب، وبابا جهة الشام، وبابا جهة اليمن<sup>(٢)</sup>. وقد جدد بناء هذا السور سنة ٣٧٢هـ بأمر من عضد الدولة بن بويه فى خلافة الطائع بالله<sup>(٣)</sup>، كما جدد بناؤه سنة ٥٥٧هـ بأمر من الملك العادل نور الدين محمود زنكى<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذه الإشارة الوجيزة لمساكن المدينة وسورها، نقول بأن أهل المدينة كانوا يستقبلون كل من يفد إليهم من الحجاج فى بيوتهم الخاصة يحتفون به ويحسنون ضيافته ويهيئون له ما يستطيعون من سبل الراحة ولا يتقاضون على ذلك أجرا<sup>(٥)</sup>.

ومنذ خلافة معاوية بن أبى سفيان بدأ الحجاج يفسدون إلى المدينة ومعهم الصدقات، كما قام معاوية بإرسال الأموال الى والى المدينة لتوزيعها على أهلها<sup>(٦)</sup>.

---

(١) البتانونى: الرحلة الحجازية، ص ٧٠.

- الانصارى: آثار المدينة، ص ٢٧٣.

- ابراهيم العياشى: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٣٨٨.

(٢) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٣١٧.

- العباسى: عمدة الاخبار، ص ٢١٢.

(٣) ابن الاثير: الكامل، ج ٩، ص ١٠٥.

- احمد السعيد: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة، ج ١، ص ١٢.

(٤) ابن الاثير: الكامل، ج ١١، ص ٧٨.

- المقرئى: الذهب المسبوك، ص ٦٧.

(٥) البتانونى: الرحلة الحجازية، ص ٧٦.

- ابراهيم العياشى: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٣٩٠.

(٦) احمد الشريف: دور الحجاز السياسى فى القرن الأول الهجرى، ص ٩٧.



والباحث في أحوال المدينة لا يجد أى شكوى للحجاج من معاملة أهلها لهم خلال الحقبة الزمنية التى يتحدث عنها هذا البحث . وهذا يرجع إلى حسن تربية أهل المدينة على سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، وعلى أيدي خلفائه من بعده . وهذه التربية التى جعلت أهل المدينة يمتازون بالورع والصلاح والأدب وحسن المعاشرة ، كما يعزو البتوني رقة أهل المدينة وما امتازوا به من حسن المعاملة إلى صحة مناخها ، فيقول في هذا الصدد : «إن مناخ المدينة صحى ، فربما كان ذلك من الأسباب التى ساعدت على رقة أهلها ولطافة أمزجتهم بالاضافة الى ذلك ما يمتازون به من الورع والصلاح والأدب وحسن المعاشرة»<sup>(١)</sup>.

وعندما زاد عدد سكان المدينة ، وزاد عدد المجاورين والوافدين إليها ، من الحجاج والتجار وطلبة العلم ، ولم تعد مساكنها تكفى لسكن هؤلاء وأولئك مما جعل الخلفاء والأمراء والتجار يقومون بإنشاء دور وأربطة حول المسجد النبوى الشريف<sup>(٢)</sup> . ولقد أوقفت الدور لسكن الحجاج منذ بداية القرن الأول الهجرى ، وفيما يلى عرض للدور والأربطة التى ورد ذكرها في المصادر التاريخية .

## أ - الدور :

دار عثمان بن عفان رضى الله عنه :

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بنى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بالمدينة دارين أمام باب جبريل : الدار الصغرى خصصت في فترة خلافته لاستقبال الحجاج ، ثم اشتراها بعد ذلك مجموعة من التجار المغاربة وزادوا في بنائها وجعلوها رباطا ، أما الدار الكبرى ، فكانت سكنا لعثمان وفيها قتل<sup>(٣)</sup> ، ثم أصبحت بعد ذلك رباطا ، وسوف نورد الحديث عنها في مجموعة الأربطة .

---

(١) البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ١١٢ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠ .

(٣) عبدالقدوس الانصارى : آثار المدينة ، ص ٤٢ .

### دار جعفر الصادق :

اشتراها جعفر الصادق من صاحبها حارثة بن النعمان الانصارى، وأوقفها على من يتولى خدمة الحرم النبوى. وهى الآن من أوقافه<sup>(١)</sup>. وهذه الدار ملاصقة لدار أبى أيوب الأنصارى من الناحية الجنوبية لها<sup>(٢)</sup>.

### دار ريطة :

نسبة إلى ريطة ابنة أبى العباس السفاح<sup>(٣)</sup>، ويقال إن ريطة هى والددة الخليفة<sup>(٤)</sup>. ويذكر السمهودى أن هذه الدار كانت لأبى بكر الصديق<sup>(٥)</sup>. غير أن الأنصارى صاحب كتاب آثار المدينة يخالف السمهودى فى ذلك إذ يقول: «إن هذه الدار تقع شرقى دار أبى بكر الصديق أمام باب النساء مستدلا على ذلك بما شاهده من آثار لدار أبى بكر الصديق فى زقاق البقيع»<sup>(٦)</sup>. وقد بنيت هذه الدار لاستقبال وإقامة الحجاج فى فترة الزيارة وقد أنفقت فى بنائها وزخرفتها أموال كثيرة، وهى الآن ضمن أوقاف الحرم النبوى<sup>(٧)</sup>.

### دار أبى أيوب الأنصارى :

تقع فى الناحية الجنوبية الشرقية من المسجد النبوى، وتاريخ بنائها يرجع الى ما قبل الهجرة وحينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة نزل بها، وكانت هذه الدار تستقبل الحجاج فترة الموسم زمن الخلفاء الراشدين<sup>(٨)</sup>. وقد اشتراها شخص

---

(١) عبد القدوس الانصارى: آثار المدينة، ص ٤٢.

(٢) ابراهيم العياش: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٣٩٠.

(٣) ابن النجار: الدرر الثمينة، ص ٤٨.

(٤) المراغى: تحقيق النظرة، ص ١٦٨.

(٥) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ١٠٥٢.

(٦) الأنصارى: آثار المدينة، ص ٤٦.

(٧) المرجع السابق، ص ٤٧.

- والمقصود بأوقاف الحرم النبوى أى فى وقتنا الحاضر.

(٨) الأنصارى: آثار المدينة، ص ٤٧.

يدعى المغيرة بن عبدالرحمن وأوقفها على الفقراء والمغترين المجاورين في المدينة<sup>(١)</sup>.  
وهي مزار للحجاج يذهبون لزيارتها في كل موسم<sup>(٢)</sup>.

دار آل عمر بن الخطاب :

وهي دار عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ويقال إنه أوقفها على الفقراء والغرباء، وجعلها سكنا للحجاج فترة الموسم<sup>(٣)</sup>، وهي الآن تابعة لأوقاف الحرم النبوي<sup>(٤)</sup>.

دار خالد بن الوليد :

وتقع هذه الدار بجوار دار ريطة من الجهة الشمالية، والذي بناها هو خالد بن الوليد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت مقرا لسكنه<sup>(٥)</sup>. وفي سنة ٧٨هـ وبسبب انقراض أبناء خالد بن الوليد انتقلت ملكيتها إلى أيوب بن سلمى عن طريق الارث ثم بيعت بعد ذلك<sup>(٦)</sup>. وبني رباط مكانها سنة ٦٢٠هـ وسمى باسم خالد بن الوليد، وسوف نورد ذكره في موضوع الأربطة. وإلى جانب هذا بنيت دور كبيرة لكن لا يعرف من الذي أوقفها أو شرط وقفيتها أو سنة وقفيتها، وقد أوقف جزء من هذه الدور على خدمة المسجد النبوي الشريف. وأكثر هذه الدور لم تعرف في الوقت الحاضر بسبب التوسعة للمسجد النبوي فأغلبها أدخل في هذه التوسعة.

## ب - الأربطة :

رباط عثمان بن عفان :

في سنة ٤٢٣هـ اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى للخليفة عثمان بن

(١) ابراهيم العياش: المدينة بين الحاضر والماضي، ص ٣٩٤.

(٢) الأنصاري: آثار المدينة، ص ٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٥) المراغى: تحقيق النظرة، ص ١٦٩.

(٦) المرجع السابق، ص ١٧٠.



عفان وجعلوها رباطا لطلبة العلم من بلاد المغرب المقيمين في المدينة ، ولإقامة الحجاج المغاربة فترة الموسم<sup>(١)</sup> . ومن المعلوم أن عثمان بن عفان لم يوقف هذه الدار إلا أنه جعلها سكنا للحجاج في فترة خلافته<sup>(٢)</sup> .

ولقد وسع التجار المغاربة هذه الدار بعد أن جعلوها وقفا وخصصوا غرفة بها لتكون مكتبة<sup>(٣)</sup> ، ويجد ربنا أن نشير إلى أن هذه المكتبة قد حوت أمهات كتب الفقه المالكي التي تبرع بها التجار والعلماء ، لذا يمكن القول بأن هذا الرباط كان سكنا لبعض العلماء وطلبة العلم ، وكانت تقام فيه حلقات الدروس<sup>(٤)</sup> . ويذكر بعض نظار الرباط أن الدواليب أو الخزائن الحاوية للكتب الموجودة في مكتبة هذا الرباط قد أخرجت من مكتبة هذا الرباط ، وأنها قد أهديت إلى مكتبة الحرم النبوي في أواخر القرن السادس الهجري<sup>(٥)</sup> .

#### رباط الناصر لدين الله :

أمر الخليفة الناصر لدين الله في سنة ٥٧٠هـ ببناء رباط لكي يكون سكنا لطلبة العلم المقيمين في المدينة وللغرباء ، ويقع هذا الرباط عند باب النساء ، وقد جاء في شرط وقفه أن يكون سكنا للحجاج في فترة الزيارة<sup>(٦)</sup> .

#### رباط المراغى :

أوقف قاضى القضاء أبوبكر محمد بن عبدالله المراغى في سنة ٥٧١هـ رباطا يقع

---

(١) الأنصارى: آثار المدينة، ص ٤٩ .

(٢) المراغى: تحقيق النصرة، ص ١٧٦ .

(٣) الأنصارى: آثار المدينة، ص ٥٠ .

(٤) المراغى: تحقيق النصرة، ص ١٧٧ .

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢، ص ٢٦١ .

- الأنصارى: آثار المدينة، ص ٥١ .

(٦) المراغى: تحقيق النصرة، ص ١٧٨ .

- الأنصارى: آثار المدينة، ص ٥٢ .

عند باب السلام ، و شرط وقفته أن يكون سكنا للصوفية الزهاد والمقيمين في المدينة ،  
وأن يكون سكنا للحجاج في أثناء زيارتهم<sup>(١)</sup>.

رباط البخارية :

بنى وأوقف تجار مدينة بخارى سنة ٥٧٧هـ رباطا أمام باب الرحمة وجعلوا شرط  
وقفته أن يكون سكنا للغرباء من مدينة بخارى والمجاورين في المدينة وأن يكون سكنا  
للحجاج أثناء زيارتهم في الموسم<sup>(٢)</sup>.

رباط الزنجبيلي :

بناه عثمان بن علي الزنجبيلي ، نائب أمير عدن في سنة ٥٧٩هـ ، ويقع عند باب  
النساء - وقد أوقفه على الأحناف المقيمين بالمدينة كما جعله سكنا للحجاج القادمين  
من عدن أثناء زيارتهم للمدينة<sup>(٣)</sup>. وقد أقيمت في هذا الرباط مكتبة ضخمة تضم  
كتب الفقه الحنفي ، وكانت تقام فيه حلقات للدرس<sup>(٤)</sup>.

رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله :

أوقفت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسي رباطا بالمدينة المنورة في سنة  
٥٩٩هـ ويقع هذا الرباط أمام باب جبريل ، وجاء في شرط وقفته أن يكون سكنا  
للفقراء المنقطعين المقيمين في المدينة . ولم يذكر أنه خصص لسكن الحجاج فترة  
الزيارة ، وقد سمي هذا الرباط باسمها<sup>(٥)</sup>.

رباط الأصفهاني :

بعد أن اشترى جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصفهاني الدار الكبرى  
للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، في أواخر القرن السادس الهجري ، جعلها

(١) العباسي : عمدة الاخبار ، ص ٣٩٦ .

(٢) الأنصاري : آثار المدينة ، ص ٥٣ .

(٣) المراغي : تحقيق النظر ، ص ١٧٩ .

(٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٧٨ .

(٥) السمهودي : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٧ .

رباطا لفقراء الحج من الفرس<sup>(١)</sup>. ويذكر السمهوى شهرة هذا الرباط برباط العجم<sup>(٢)</sup>. ولقد شرط وأوقف هذا الرباط لكى يكون سكنا للحجاج فى فترة الموسم<sup>(٣)</sup>. ولعله من المفيد أن نشير الى أن هذه الدار قد ظلت معروفة بالدار الكبرى لعثمان بن عفان رضى الله عنه، الى حين شرائها من قبل جمال الدين الأصفهانى.

#### رباط خالد بن الوليد:

يقع هذا الرباط فى دَارَى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وكانا متجاورين، ولقد اشترى تجار بلاد غزنة هاتين الدارين من مالكيهما فى سنة ٦٢٠هـ، وقاموا بتجديد بنائهما وجعلوهما رباطا واحدا ليسكن فيه الغرباء من سكان الهند المقيمين فى المدينة، كما يسكنه الحجاج الهنود وقت زيارتهم فى فترة الموسم<sup>(٤)</sup>. هذا وقد عرف هذا الرباط فيما بعد برباط السبيل نسبة لوجود بئر فيه، وكان هذا البئر سبيلا للحجاج<sup>(٥)</sup>.

#### أمكنة الزيارة وما قدم فيها من خدمات:

حرص خلفاء الدولة الإسلامية منذ بداية الخلافة الراشدة وحتى نهاية الحقبة الزمنية التى نتحدث عنها إلى توفير المياه فى كل مكان زاره الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اختط أو بنى فيه مسجدا وصلى فيه وذلك حتى لا يجد الحجاج صعوبة فى حصولهم على المياه فى هذه الأمكنة التى اعتادوا زيارتها للتبرك<sup>(٦)</sup>. وسنحاول فيما يلى أن نتبع أعمالهم فى هذه الأماكن، وما قدموه فيها من خدمات..

(١) السمهوى: وفاء الوفاء، جـ ٣، ص ١٠٥٨.

(٢) المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٠٥٩.

(٣) الراغى: تحقيق النظرة، ص ١٨٠.

- ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٨٠.

(٤) الأنصارى: آثار المدينة، ص ٥٥.

(٥) المرجع السابق: ص ٥٦.

(٦) قطب الدين: تاريخ المدينة، ورقة ٦٢.



### مسجد قباء :

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة قال لأصحابه انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم ، فأتاهم عليه الصلاة والسلام ، وسلم عليهم ونزل عندهم ، وفي قباء اختط مسجده الذي قام ببناؤه بيده الكريمة<sup>(١)</sup>. وقد جدد بناء هذا المسجد في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أن تصدع .

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية هذا المسجد زادت في نظر المسلمين الزائرين للمدينة بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين ، كان له كأجر عمره)<sup>(٢)</sup>.

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك عملت الأساطين الرخامية بداخله وتم توسعته وتجديده<sup>(٣)</sup>. كما عمل به حوض لجلب المياه لشرب الزائرين اليه<sup>(٤)</sup>. كما تم في خلافة أبى جعفر المنصور توسعة هذا المسجد من الجهة الشمالية ، كما بنيت له منارة وعمل له منبر رخامى أحضر من بلاد الشام<sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٥٥٥هـ أمر نور الدين محمود زنكى بتجديد بنائه وعمل له محرابا من الحجر ، وجلب له أساطين الرخام من بلاد الشام<sup>(٦)</sup>. هذا ولم تتحدث المصادر عن حدوث تجديد لهذا المسجد أو اقامة خدمات له في هذه الحقبة الزمنية ، إذ يعد تجديد نورالدين محمود آخر تجديد لهذا المسجد في هذه الفترة.

### مسجد بنى ظفر :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد البغلة ، وقد بناه جماعة من الأوس ، وهو يقع

---

(١) العباسى : عمدة الأخبار، ص ٢١٠ .

(٢) البخارى : صحيح ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

- السيوطى : تنوير الحوالك ، شرح موطأ مالك ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٣) العباسى : عمدة الاخبار، ص ٢١١ .

(٤) المراغى : تحقيق النضرة ، ص ١٨٠ .

(٥) السمهودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٨٠٦ .

(٦) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨٠٧ .

شرق البقيع في طرف الحرة الغربية<sup>(١)</sup>. ويقال: بأن النبي صلى الله عليه وسلم. صلى فيه كما يقال إن به حجرا فيه أثر للرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

وعندما حاصر مسلم بن عقبة المري المدينة سنة ٦٣هـ<sup>(٣)</sup>. أراد خلع الحجر فجاءه جماعة من بنى ظفر وقالوا: أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، له أثر في هذا الحجر. وطلبوا منه رده إلى مكانه فاستجاب لمطلبهم<sup>(٤)</sup>.

ولقد جدد بناء هذا المسجد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك وعمل له منبر رخامى<sup>(٥)</sup>. وفي عهد الخليفة أبى جعفر المنصور أصلح بعض الخراب الذى حدث به<sup>(٦)</sup>. وفي عهد الخليفة المأمون عمل له منارة وأرسل اليه الرخام، لعمل الاسطوانات بداخله<sup>(٧)</sup>.

وفي سنة ٦٠٣هـ أمر الخليفة العباسى الناصر لدين الله بتوسيع هذا المسجد وتجديد بنائه<sup>(٨)</sup>. وبعد هذا التاريخ لم يحدث أى تجديد به خلال الحقبة الزمنية التى تخص هذا البحث.

#### مسجد الغمامة:

يقع هذا المسجد في جنوب غرب المناخة، وهو مبنى بالحجارة، وبه ست قباب ويوجد بداخله عقود تحتها أعمدة منحوتة من الحجارة<sup>(٩)</sup>. وتذكر الرواية أن هذا المسجد لم يكن مبنيا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان فضاء يقيم فيه

(١) المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٨١.

(٢) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٨٠٧.

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى، ج ١، ص ٢٨٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ١١١.

(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٣٢.

(٦) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٢٧.

(٧) المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٨٢.

(٨) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٩) الأنصارى: اثار المدينة، ص ١٢٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة العيدين<sup>(١)</sup>. ولم تذكر المصادر من أمر ببنائه من الخلفاء، ولكنها ذكرت من قاموا بتجديده. وأولهم الخليفة هارون الرشيد. كما قام الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٦هـ باصلاحه وأرسل له منبرا رخاميا منقوشا عليه اسمه<sup>(٢)</sup>. وتذكر رواية أخرى أنه بنى في منتصف القرن الثاني الهجري<sup>(٣)</sup>.

هذا ولم نتحدث المصادر بعد ذلك عن أية تجديدات حدثت لهذا المسجد خلال الحقبة الزمنية التي نتحدث عنها.

### مسجد الفتح :

يقع هذا المسجد على جبل مصلح من ناحية القرين، وهو من المساجد التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ببنائها في حياته، وترجع شهرة هذا المسجد إلى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ربه فيه كي ينصره على الأحزاب، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لهذا الدعاء في المرة الثالثة، وتم لرسوله النصر على الأحزاب<sup>(٤)</sup>. ولا ننس في هذا المقام أن نقول إن عثمان بن عفان رضى الله عنه، وهو أول من قام بتجديد بنائه<sup>(٥)</sup>. وفي خلافة المهدي تصدعت بعض مبانيه، فأمر الخليفة باصلاحها<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد الخليفة المعتصم أمر بتجديد بنائه، وأحضر من الشام الرخام لعمل الاسطوانات الرخامية بداخله<sup>(٧)</sup>.

وبعد هذا التاريخ لم تطرأ أية تجديدات لمسجد الفتح خلال الفترة الزمنية التي يتكلم عنها هذا البحث.

(١) المراعى: تحقيق النظر، ص ١٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٥٦.

(٣) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٢٨.

(٤) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٨٣٩.

(٥) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ٣٣.

(٦) الأنصارى: آثار المدينة، ص ١٣٤.

(٧) الأنصارى: آثار المدينة، ص ١٢٥.



### مسجد القبلتين:

يقع هذا المسجد على هضبة مرتفعة من حرة الوبرة في طرفها الشمالى الغربى بالنسبة للمدينة<sup>(١)</sup>. وينقسم مسجد القبلتين في شكله إلى قسمين: داخلى وخارجى، فالقسم الداخلى منه به محراب واجهته للكعبة، والقسم الخارجى به محراب واجهته إلى بيت المقدس<sup>(٢)</sup>.

وقد بنى هذا المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه صلى مستقبلا بيت المقدس، وفيه أيضا أمره الله سبحانه وتعالى بتحويل القبلة إلى الكعبة، ولهذا السبب سمي القبلتين<sup>(٣)</sup>.

وقد جدد بناؤه في عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان، الذى أمر باصلاح الخراب الذى حدث فيه<sup>(٤)</sup>. وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز أمر بتجديد بنائه، وقد أرسل له الرخام من الشام لعمل الاسطوانات الداخلية<sup>(٥)</sup>.

وفي عهد الخليفة أبى جعفر المنصور أمر بتجديد بناء هذا المسجد وقام بتوسيعه وأمر ببناء مئذنة به، كما أمر الخليفة هارون الرشيد باصلاحه وبناء بركة ليشرب منها الحجاج الماء، وبركة أخرى من أجل الوضوء<sup>(٦)</sup>. وقد جدد بناؤه في عهد الخليفة المتوكل، وهذا آخر تجديد حدث لهذا المسجد في هذه الفترة الزمنية.

### مسجد السقيا:

اختطه الرسول صلى الله عليه وسلم بجوار بئر السقيا بطرف حرة الوبرة وصلى

---

(١) الأنصارى: آثار المدينة، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٧.

- ابراهيم العياشى: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٤١٨.

كان ذلك الوضع بالمسجد الأول في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، أما المسجد الحالى فلا توجد به سوى محراب يتجه نحو الكعبة، وبناؤه الحالى يرجع الى العصر العثمانى).

(٣) ابراهيم العياشى: المدينة بين الحاضر والماضى، ص ٤١٩.

(٤) الأنصارى: آثار المدينة، ص ١٢٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٦) المراغى: تحقيق النضرة، ص ١٨٤.

فيه ، وقد دعا لأهل المدينة في هذا المسجد بالبركة . وتوجد بداخل هذا المسجد قبة شهيرة تسمى قبة الأعاجم ، نسبة الى من أمر ببنائها وهو عضد الدولة بن بويه لأن من قام ببنائها من الأعاجم البائين ، فبنيت على طراز عجمي<sup>(١)</sup>.

وقد جدد بناؤه بأمر من صلاح الدين الأيوبي حينما أخبره أمير الحج ببعض الخراب الذي حدث لهذا المسجد فأمر باصلاحه وتجديده بعض مبانيه<sup>(٢)</sup>.

#### مسجد الاجابة :

ويقع في مكان مرتفع شمال البقيع وبجواره حفر بئر يسمى (بئر ذات سليم) نسبة إلى من حفرها ، وهو سليم الأوسى الأنصاري<sup>(٣)</sup> ، وسمى مسجد الإجابة لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، دعا ربه فاستجاب لدعائه<sup>(٤)</sup> . وقد جدد بناؤه في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور في عهد الخليفة هارون الرشيد<sup>(٥)</sup> . أما في عهد الخليفة المعتصم فقد تم بناء بركة بجوار بئر ذات سليم ليشرب منها الحجاج أثناء زيارتهم لهذا المسجد<sup>(٦)</sup>.

#### مسجد الشمس :

يقع شرقي المدينة ، وسمى بمسجد الشمس لأن الشمس تشرق من جهته حينما تشرق على المدينة ، وقد بنى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومكث فيه عليه الصلاة والسلام ست ليال أثناء حصاره ليهود بنى النضير ، ولذلك يقصده الحجاج للتبرك<sup>(٧)</sup> . وقد جدد بناء هذا المسجد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه<sup>(٨)</sup> . وفي عهد الخليفة هارون الرشيد مدت اليه قناة عين الزرقاء وعمل لها بركة

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٨٤١.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٨٤٢.

(٣) الأنصاري: آثار المدينة، ص ١٢٨.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٣، ص ٨٤٣.

- المراغى: تحقيق النظرة، ص ١٨٥.

(٥) الأنصاري: آثار المدينة، ص ١٢٨.

(٦) المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٧) المراغى: تحقيق النظرة، ص ١٨٦.

(٨) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ورقة ١٠٠.

خارج المسجد كى يستفيد منها الحجاج فى الوضوء<sup>(١)</sup>. هذا ولم تتحدث المصادر عن أية اصلاحات حدثت لهذا المسجد فى الحقبة الزمنية التى تخص هذا البحث.

### أعطيات الخلفاء لولاية المدينة :

استمرت المدينة عاصمة للدولة الاسلامية منذ نشأتها حتى نهاية خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وبعد أن تولى على بن أبى طالب كرم الله وجهه، الخلافة نقل عاصمة دولته إلى الكوفة وأصبحت المدينة ولاية من ولايات الدولة الاسلامية، ولكنها تمتاز عن غيرها بحرمتها الدينية، وبما فيها من مقدسات يعظمها المسلمون، ويتوجهون إليها فى أيام الحج وغيرها من أيام السنة للزيارة<sup>(٢)</sup>.

ولما آلت الخلافة إلى البيت الأموى، حرص معاوية بن أبى سفيان على كسب تأييد أهل المدينة له، فعمل على ارسال أعطيات كثيرة مع أمير الركب الشامى لسكان المدينة، كما حرص على أن يكون واليه على المدينة من آل بيته حتى لا تحدث فتنة. وسار على نهج معاوية خلفاء البيت الأموى من بعده<sup>(٣)</sup>.

وعندما تولى بنو العباس الخلافة كان العلويون فى المدينة كثيرا ما يشيرون الاضطرابات ضدهم، لذلك اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بارسال الأعطيات إلى سكان المدينة ليضمنوا ولاءهم<sup>(٤)</sup>.

ففى سنة ١٤٠هـ حج أبوجعفر المنصور وأغدق أعطيات على سكان المدينة، ويقال إنه كساهم جميعا، ووزع عليهم صحائف من الذهب والفضة، كما يقال إنه لما حج سنة ١٥٢هـ قدم صدقات لأهل المدينة وكساهم بأكثر من ستين ألف دينار<sup>(٥)</sup>.

(١) المرازى: تحقيق النضرة، ص ١٨٧.

- الأنصارى: آثار المدينة، ص ١٣٠.

(٢) الجزيرى: درر الفوائد، ص ١٩٤.

(٣) أحمد الشريف: درر الحجاز السياسى، ص ٢١٥.

(٤) الجزيرى: درر الفوائد، ص ١٩٦.

(٥) المرجع السابق، ص ١٩٩، ٢٠٣.



وقد واصل خلفاء البيت العباسي الأوائل ارسال أعطياتهم بعد ذلك إلى وإلى المدينة وسكانها وجعلوا الوالى مستقلا لكي يستطيع اخماد الفتن والثورات التى تظهر فيها من آن لآخر<sup>(١)</sup>.

وفى سنة ١٦٠هـ حج الخليفة المهدي وقام بتوزيع الأعطيات على سكان المدينة حتى بلغت الأموال التى أنفقها ثلاثين ألف دينار وصلت اليه من مصر ألف دينار ووصلت البقية من اليمن<sup>(٢)</sup>.

وفى سنة ١٧٠هـ حج الخليفة هارون الرشيد، وقام بتوزيع أعطيات على سكان المدينة، ويقال إنه لم يترك بيتا واحدا من بيوت المدينة الا وأغدق عليه من أعطياته<sup>(٣)</sup>.

وفى سنة ١٧٧هـ حج هارون الرشيد ماشيا - كما يذكر المؤرخون - وقد أغدق فى الأعطيات والملابس المصنوعة فى اليمن خصيصا لأهل المدينة<sup>(٤)</sup>.

وفى سنة ١٨٦هـ وزع الرشيد على أهل المدينة صدقات لم توزع مثلها من قبل. وحجت أيضا فى نفس العام زوجته السيدة زبيدة، وقامت بتوزيع صدقات على نساء المدينة - هذا وتعد السيدة زبيدة أول سيدة تقوم بتوزيع الأعطيات على سكان المدينة<sup>(٥)</sup>.

وفى سنة ٢٠٨هـ حجت السيدة زبيدة للمرة الثانية، وأنفقت أموالا كثيرة على أهل المدينة، وقيل انها لم تترك بيتا فى المدينة إلا وأغدقت عليه الأعطيات<sup>(٦)</sup>.

---

(١) ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة، ورقة ٦١.

- العباس: عمدة الأخبار، ص ٢١٣.

(٢) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٣١٠.

- المقرئى: الذهب المسبوك، ص ٤٤.

(٣) السمهودى: وفاء الوفاء، ج ١، ص ٣٢١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٢١.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٢٠.

- المقرئى: الذهب المسبوك، ص ٥١.

(٦) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٢٦.

وفي سنة ٢١٢هـ حج الخليفة المأمون، وقام بتوزيع الأعطيات على سكان المدينة، كما اهتم ببناء القلاع والحصون للدفاع عنها<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بنا الإشارة إلى أن السبب في اغداق الخلفاء العباسيين الأوائل أعطياتهم على أهل المدينة يرجع إلى محاولتهم كسب ولائهم وتأييدهم السياسى، حيث أن كثيرا من أفراد البيت العلوى كانوا يسكنون المدينة ويقومون من وقت لآخر بالخروج على الخلفاء العباسيين.

وظلت السيادة المباشرة للعباسيين على المدينة قائمة، ولمزيد من الولاء، وضمان الخضوع، أسند الخليفة العباسى ولاية الحجاز (مكة والمدينة) إلى محمد بن طفح الأخشيدي<sup>(٢)</sup>. وقد كان يقيم فى المدينة بعض من أبناء الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، الذين ظلوا يتحينون الفرص للاستقلال بولايتها كما فعل بنو سليمان فى مكة، ولكنهم لم يملكوا من أسباب القوة ما يساعدهم على تحقيق أغراضهم، ولما قدم عليهم من مصر طاهر بن مسلم، أحد أحفاد الحسين بن على ولوه أميرا عليهم، وما لبث طاهر أن استقل بامارة المدينة سنة ٣٦٠هـ، ولم تستطع الخلافة العباسية مقاومته بسبب ضعفها<sup>(٣)</sup>.

ومنذ هذه السنة أعلن طاهر ولاءه للخليفة الفاطمى المعز لدين الله الذى أقيمت الخطبة باسمه من فوق منبر الحرم النبوى الشريف، وبدأ المعز لدين الله فى ارسال الأموال والأعطيات إلى أمير المدينة وأهلها لكى يضمن ولائهم وليضفى على سيادته على المدينة الصبغة الشرعية<sup>(٤)</sup>.

واستمرت الخطبة تقام فى المدينة باسم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله حتى توفى

---

(١) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٢٧.

(٢) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢١.

- سيدة اسماعيل كاشف: مصر فى عصر الأخشيديين، ص ١٥٣.

(٣) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٠٩.

سنة ٣٦٥هـ وخلفه ابنه العزيز بالله الذى انقطعت الخطبة باسمه فى المدينة عامين<sup>(١)</sup>. وفى سنة ٣٦٧هـ بعث العزيز بالله ادريس ابن زيزى الصنهاجى أميرا على الحج فاستطاع أن يعد الخطبة باسمه<sup>(٢)</sup>. وظل الأمر بعد ذلك مستقرا فى المدينة حتى وفاة أميرها طاهر بن مسلم سنة ٣٨١هـ. وقد خلفه فى الامارة ابنه الحسين الذى سار على نهج أبيه فى تبعيته للفاطميين، كما ظل الفاطميون يرسلون أعطيات اليه وإلى أهل المدينة<sup>(٣)</sup>.

وفى سنة ٣٨٦هـ توفى الخليفة الفاطمى العزيز بالله وخلفه ابنه الحاكم بأمر الله الذى أعلن أمير المدينة طاعته له، وأقام الخطبة باسمه، فأرسل الحاكم بأمر الله الأعطيات إلى المدينة، بل زاد عما كان يرسله والده إليها<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن الخليفة العباسى القادر بالله، قام بارسال الأعطيات إلى أمير المدينة لكي يستعين سلطان العباسيين عليها وتقام الخطبة باسمه بدلا من الخليفة الفاطمى، إلا أن أمير المدينة رفض ذلك، فما كان من الخليفة العباسى إلا أن أرسل إلى المدينة جيشا قضى على امارة بنى مهنا، غير أنه ما أن خرجت قوات العباسيين من المدينة حتى استطاعت أسرة بنى مهنا استعادتها وبادرت باعلان ولائها وطاعتها للخلافة الفاطمية<sup>(٥)</sup>.

واستمر خلفاء البيت الفاطمى فى ارسال الأعطيات إلى أمير المدينة لكي يضمنوا دوام سلطانهم عليها. هذا وقد كان لدى بنى مهنا رغبة فى استمرار تبعيتهم للدولة الفاطمية وعدم اقامة الدعوة للبيت العباسى<sup>(٦)</sup>.

وفى سنة ٤٠٠هـ أرسل الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله إلى الأمير سالم بن مهنا

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٦) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٥١.



أمير المدينة يأمره بفتح دار جعفر الصادق وإرسال ما فيها إلى القاهرة، ولكن الأخير رفض هذا الطلب وخرج من طاعة الخليفة الفاطمي وأعاد الخطبة للخليفة العباسي .  
وحيثما علم الخليفة الفاطمي بذلك أرسل إليه الأعطيات وعاتبه على ما قام به من حذق لاسمه في الخطبة فأعاد أمير المدينة ولاءه للخليفة الفاطمي<sup>(١)</sup> .

وظل خلفاء البيت الفاطمي يواصلون إعطياتهم إلى أمير المدينة حتى العصر الفاطمي الثاني ، إذ أن الخلفاء الفاطميين ووزراءهم لم ينصرفوا انصرافاً تاماً عن نشر الدعوة لهم في بلاد الحجاز على الرغم من ضعف دولتهم وانكماش حدودها في هذا العصر، كما ظل أمراء المدينة على ولائهم للفاطميين بصفة عامة ولم يخرجوا عن طاعتهم لهم إلا في سنوات قليلة جداً عندما كانت الخلافة العباسية تنافس الفاطميين في إرسال الأعطيات إليهم . وقد بدأ هذا التنافس منذ سنة ٤٩١ هـ وهي السنة التي أرسل فيها الخليفة العباسي المستظهر بالله أعطياته إلى أمير المدينة الذي قام من جهته بإقامة الخطبة باسمه بدلاً من الخليفة الفاطمي<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم من استمرار العباسيين في إعطياتهم إلى أمير المدينة مقابل إقامة الخطبة باسمهم ، فإن أمير المدينة وأهلها لم ينحازوا إلى الخلفاء العباسيين في مناهضة الخلافة الفاطمية ، بل حرصوا على اظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين كلما جاءتهم الفرصة ، وذلك يرجع إلى تأثير الدعوة الشيعية التي بذل الدعاة الفاطميون في نشرها جهداً كبيراً . كما أن الخلفاء الفاطميين كانوا يعنون بنشر الأمن والسكينة في الأراضي المقدسة بالإضافة إلى صلة القرابة بين أشراف المدينة وحلفاء الدولة الفاطمية<sup>(٣)</sup> .

هذا ولم يقتصر التنافس بين العباسيين والفاطميين على بسط نفوذ كل منهما على الأراضي المقدسة بالحجاز بمظاهر العنف والقوة على الرغم من حرصهم على ذلك ، وإنما اكتفى كل فريق بأن تقام الخطبة باسمه من فوق منابر الحرمين الشريفين وفي

(١) العباس : عمدة الأخبار، ج ٥ ، ص ١٢٣ .

(٢) أبوالمحسن : النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٣٤ .

عرفات ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن بنى العباس والفاطميّين رأوا أن لا يجعلوا الأراضى المقدسة بالحجاز ميدانا لاظهار ما بينهم من عداوة وبغضاء<sup>(١)</sup>.

وقد اقتصر اهتمام الخلفاء الفاطميّين في نشر سلطانهم في بلاد الحجاز على الناحية الدينية المتمثلة في الخطبة ، وكان غرضهم من ذلك هو توطيد أركان خلافتهم واستمالة العالم الإسلامي الى جانبهم حيث إن المسلمين جميعا كانوا ينظرون إلى الخلفاء أصحاب السيادة على الأراضى المقدسة نظرة إجلال وتقدير<sup>(٢)</sup>.

وبعد سقوط الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧هـ وعودة السيادة العباسية على الحجاز ظل ولاية المدينة يقيمون الأذان (بحى على خير العمل) إلى أن أمرهم السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧٢هـ بحذف هذه العبارة من الأذان<sup>(٣)</sup>.

واستطاع صلاح الدين الاحتفاظ بالحجاز بعد أن أقره الخليفة العباسى المستضىء بأمر الله في سنة ٥٧١هـ وذلك بفضل سياسته التى انتهجها ازاء أهل الحجاز والتى تتمثل في اغداق الأموال والأعطيات عليهم ، وفيما يختص بالمدينة فقد واصل صلاح الدين ارسال الأموال والأعطيات إليها وإلى الأعراب الذين يقطنون على امتداد طريق الحج<sup>(٤)</sup>. كما تتمثل هذه السياسة في عدم تدخل صلاح الدين وسلطين الأيوبيين من بعده في شؤون الامارة سواء في المدينة أو في مكة<sup>(٥)</sup>.

وحاول الصليبيون أن يضربوا صلاح الدين بوصفه حاميا للديار الاسلامية المقدسة وأقوى أعدائهم وأن يطعنوا المسلمين في مقدساتهم ، فوضعوا خطة لغزو المدينة وإخراج جسد الرسول صلى الله عليه وسلم والتمثيل به وذلك لاذلال صلاح الدين من ناحية ، ولصرف نظره عن محاربتهم في الشام من ناحية أخرى<sup>(٦)</sup>.

(١) محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميّين الخارجيه ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) الجزيرى: درر الفوائد، ص ٢٦١.

(٤) ابن جبير: الرحلة، ص ٥٥.

(٥) البتونى: الرحلة الحجازية، ص ٧٤.

(٦) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢ ص ٧٨٧.

وقد بدأت أولى هذه المحاولات سنة ٥٧٧هـ حينما أراد أرناط أمير الكرك الصليبي المسير إلى تيماء ودخول المدينة إلا أن عز الدين فرخشاه خرج اليه من دمشق وألحق به هزيمة جعلته يعود على أعقابيه . ورغم ذلك عاد أرناط من جديد إلى محاولته فعبر بحر القلزم إلى عيذاب سنة ٥٧٨هـ وقتل وأسر وسار يريد المدينة ، وبلغ ذلك صلاح الدين وهو في حران ، فبعث إلى نائبه على مصر سيف الدولة بن منقذ يأمره بتجهيز الحاجب حسام الدين لؤلؤ لرد عدوان أرناط وسار حسام الدين إلى إيله وأحرق أسطول الفرنج الموجود فيها ، ثم تتبع أرناط واشتبك معه في قتال مرير بشاطئ الحوراء أمام رابغ<sup>(١)</sup> . وقد انتهى القتال بهزيمة أرناط وقتل عدد كبير من رجاله ، وأسر من تبقى منهم . وقد قتل بعضهم واقتاد البعض الآخر إلى مصر ، كما بعث برجلين من أعيان الفرنج إلى منى ، وهناك نحرا كما تنحر البدن ، في حين عاد إلى مصر ومعه بقية الأسرى ، حيث أمر صلاح الدين بقتلهم ليكونوا عبرة لكل من تحدته نفسه على حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> .

وحينما توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ قسمت المملكة بين أخيه العادل وأولاده ، وبدأت تطورات جديدة في العلاقة بين مصر الأيوبية وبين ولاية الحجاز . فقد تدخل خلفاء صلاح الدين في شؤون مكة مما أدى إلى نشوء نزاع مع ولايتها ، أما ولاية المدينة فقد ظلوا موالين للأيوبيين ولم يخرجوا عن طاعتهم<sup>(٣)</sup> .

ولقد استمر النزاع على ولاية مكة حتى تم القضاء على أسرة الهواشم وتولى أمر مكة أبو عزيز قتادة بن ادريس الذي حاول أن يضم ولاية المدينة اليه فجهز جيشا في سنة ٦٠٧هـ بقيادة ابنه عزيز من أجل الاستيلاء على إمارة المدينة ، ولكن قاسم بن مهنا الحسيني استطاع أن يتصدى له وعادت الحملة ولم تحقق أغراضها<sup>(٤)</sup> .

وقد ناصر الأيوبيون والى المدينة بالمال والسلاح ليستطيع مواجهة الشريف قتادة

---

(١) وهي مدينة تقع بساحل الحجاز في الطريق بين مكة والمدينة .

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٨٩ .

(٣) المقرئى: الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨٥ .

(٤) العباس : عمدة الأخبار ، ص ١٨٠ .



بعد ذلك<sup>(١)</sup>، ومضى الخلاف بين قتادة وقاسم وإلى المدينة في طريقه إلى أن جاء عام ٦١٢ هـ جهز قتادة جيشاً قاده بنفسه واتجه به إلى المدينة وحاصرها وأباد كثيراً من مزارعيها، وكان سالم بن مهنا في بلاد الشام، ولما وصله الخبر، عاد ومعه جيش أرسله الملك عيسى ابن العادل الأيوبي صاحب حلب، واستطاع أن يوقع الهزيمة بقتادة وأسر كثيراً من الأشراف الحسينيين وأخذهم إلى دمشق<sup>(٢)</sup>. وبهذا انتهى الخلاف الذي حدث بين قتادة وإلى مكة وبين قاسم وإلى المدينة ولم تظهر بعد ذلك محاولة للتصدي لولاة المدينة من قبل أشراف مكة<sup>(٣)</sup>.

وعلى أثر قيام دولة بني رسول في اليمن سنة ٦٢٦ هـ بدأ الملك المنصور يوجه عنايته للسيطرة على الحجاز. وفي سنة ٦٣٦ هـ زحف على رأس حملة عنيفة على الحجاز، ولكن وإلى المدينة لم يصل معه وظل مع الأيوبيين، وأما وإلى مكة فقد انضم له وقد سبق الإشارة إلى ذلك<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٦٣٧ هـ أرسل الملك الكامل الأيوبي النجدة إلى أمير المدينة من أجل أن يقضى على بني رسول في مكة، ولكن جيش بني رسول استطاع أن يقضى على هذه القوة<sup>(٥)</sup>.

وظل أمراء المدينة موالين للأيوبيين حتى سقط دولتهم سنة ٦٤٨ هـ وعلى إثر ذلك دخلوا في طاعة بني رسول الذين أخذوا يغدقون عليهم الأعطيات مقابل إقامة الخطبة باسمهم من فوق منبر الحرم النبوي الشريف. واستمر الأمر على ذلك إلى أن دخلت الحجاز تحت السيادة المملوكية في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس<sup>(٦)</sup>.



(١) المقرئزي: الخطط . ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٢) العباس : عمدة الأخبار، ص ١٨٣ .

(٣) السباعي : تاريخ مكة، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٤) ابن الضيا: قررة العيون، ج ٢ ، ص ٢٢ ، تحقيق محمد بن علي الأكرع .

(٥) المصدر السابق، ج ١ ، ص ٥٨ .

- المقرئزي: الذهب المسبوك، ص ٨٣ .

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٥ ، ص ٣٨٦ .

- دحلان: خلاصة الكلام، ص ٢٨ .

- علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢١ .



## قوائم المصادر والمراجع

### أولا : المصادر الخطية :

- ١ - الخزاعى : لم يعرف التاريخ  
الدلالات السمعية : مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ تيمور  
٦٣٨ .
- ٢ - الرشيدى : لم يعرف التاريخ  
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى اماره الحاج ، مكتبة الحرم المكى  
رقم ١١ تاريخ .
- ٣ - الأسدى : ت ١٠٦٦ هـ  
أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مكتبة الحرم المكى ، رقم ٢٣  
تاريخ .
- ٤ - ابن شبه : ت ٢٦٢ هـ  
تاريخ المدينة ، مكتبة الخانقاه الأحمديه بالمدينة المنورة ، رقم ١٥٧ .
- ٥ - الصباغ : ت ١٣٢١ هـ  
تحصيل المرام فى أخبار بيت الحرام ، مكتبة الحرم المكى ، رقم ٤٨  
تاريخ .
- ٦ - ابن الضياء : ت ٨٥٤ هـ  
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ، دار الكتب  
المصرية ، رقم ١٥٧٠ تاريخ .
- ٧ - المالكى : ت ١١٠٧ هـ  
الشافى الصغير ، مكتبة آل المالكى ، وهى ملك أبناء محمد جمال المالكى  
بمكة المكرمة .



- ٨ - ابن فهد : ت ٨٨٥هـ  
اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، أربعة أجزاء ، مكتبة الحرم المكى ، رقم  
٥٤ تاريخ .

### ثانيا : المصادر المطبوعة :

- ١ - ابن الأثير : ت ٦٣٠هـ  
الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، بيروت ، ١٩٦٦م .  
٢ - الأزرقى :  
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جزئين ، دار الأندلس ، بيروت ،  
١٩٦٩م .  
٣ - البلاذرى :  
فتوح البلدان ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .  
٤ - ابن بطوطة :  
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (الرحلة) ، القاهرة ،  
١٩٦٧م .  
٥ - الجزيرى :  
درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ،  
١٣٨٤هـ .  
٦ - ابن جبير :  
الرحلة ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨م .  
٧ - الحلبي :  
السيرة الحلبية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .  
٨ - ابن حوقل :  
صورة الأرض ، لندن ، ١٩٢٨م .

- ٩ - ابن خلدون :  
العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، دار الكتب، ١٩٦٧م.
- ١٠ - الخطيب البغدادي :  
تاريخ بغداد ومدينة السلام، القاهرة، ١٣٤٩هـ .
- ١١ - ابن خلكان :  
وفيات الأعيان، بولاق، ١٢٨٣هـ .
- ١٢ - دحلان :  
خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ .
- ١٣ - الزبيدي :  
تاج العروس شرح القاموس، بيروت، ١٩٦٤م.
- ١٤ - السمهودي :  
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد،  
بيروت، ١٩٦٨م.
- ١٥ - سبط بن الجوزي :  
مرآة الزمان، طبعة الهند، ١٣٥١هـ .
- ١٦ - ابن سيد الناس :  
عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، بيروت، ١٩٦٠م.
- ١٧ - السيوطي :  
تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ١٨ - أبوشامة :  
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ١٩ - ابن شداد :  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق  
جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٢٠ - الشهرستاني :  
الملل والنحل، بيروت، ١٩٦٧م.

- ٢١ - الاصطخرى :  
مسالك الممالك، طبعة القاهرة، ١٩٦١م.
- ٢٢ - ابن الضياء :  
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد على الأكوع، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٢٣ - الطبرى :  
تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٢٤ - ابن ظهيرة :  
الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٢٥ - العباسى :  
عمدة الأخبار فى مدينة المختار، الطبعة الخامسة، المدينة المنورة، ١٣٥٩هـ.
- ٢٦ - ابن عبد ربه :  
العقد الفريد، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٢٧ - ابن العماد الحنبلى :  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة، ١٩٥١م.
- ٢٨ - أبو الفدا :  
المختصر فى أخبار البشر، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٢٩ - الفاسى :  
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٣٠ - .....  
العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٣١ - الفاكهى :  
المنتقى فى أخبار أم القرى، بيروت، ١٩٦٧م.



- ٣٢ - القلقشندى :  
صبح الأعشى فى صناعة الانشا، القاهرة، ١٩١٩م.
- ٣٣ - ابن قتيبة :  
المعارف، القاهرة، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.
- ٣٤ - ابن كثير :  
البداية والنهاية، دار العلم، بيروت، ١٩٦٠م.
- ٣٥ - المسعودى :  
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد،  
القاهرة، ١٩٤٨م.
- ٣٦ - محب الدين الطبرى :  
القرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٣٦٧هـ /  
١٩٤٨م.
- ٣٧ - أبو المحاسن :  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ٣٨ - المراغى :  
تحقيق النضرة بلتخيص معالم دار الهجرة، صححه وحققه محمد  
عبد الجواد الأصمعى، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٣٩ - المقدسى :  
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٤٠ - المقرئى :  
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مطبعة الحلبي.
- ٤١ - المقرئى :  
اتحاف الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، نشر الدكتور جمال الدين الشيال،  
القاهرة، ١٩٤٨م.
- ٤٢ - .....

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٤٣ - النويرى :  
نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٣م.
- ٤٤ - ابن النجار :  
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٤٥ - النهروالى :  
الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٤٦ - ناصر خسرو :  
سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٤٧ - ابن هشام :  
السيرة النبوية، راجع أصولها وعلق عليها: محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة حجازى، القاهرة.
- ٤٨ - الواقدي :  
مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم، طبعة كلكتا، ١٩٤٨م.
- ٤٩ - اليعقوبى :  
تاريخ اليعقوبى، بيروت، ١٩٦٠م.
- ٥٠ - ياقوت :  
معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٠م.

### ثالثا : المراجع الحديثة :

- ١ - ابراهيم رفعت :  
مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.
- ٢ - ابراهيم على العياشى :  
المدينة بين الماضى والحاضر، دمشق، ١٩٧٣م.

- ٣ - أحمد ابراهيم الشريف: دكتور  
مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، القاهرة،  
١٩٦٥م.
- ٤ - .....  
درر الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني  
الهجري، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٥ - أحمد السباعي:  
تاريخ مكة من الناحية السياسية والاجتماعية والعمرانية، مكة،  
١٣٨٥هـ.
- ٦ - أحمد السعيد سليمان، دكتور  
تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، القاهرة،  
١٩٦٦م.
- ٧ - حافظ وهبة:  
جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٤٦م.
- ٨ - حسن ابراهيم حسن، دكتور  
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة،  
١٩٤٦م.
- ٩ - .....  
الفاطميون في مصر، القاهرة، ١٩٣٣م.
- ١٠ - الحسن الباشا، دكتور  
الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة،  
١٩٥٧م.
- ١١ - جواد علي، دكتور  
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١٢ - خير الدين الزركلي:  
الاعلام، بيروت، ١٩٧٠م.



- ١٣ - سعيد عبدالفتاح عاشور، دكتور  
الحركة الصليبية، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ١٤ - سيده اسماعيل كاشف، دكتورة  
مصر في عصر الأخشيديين، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ١٥ - عبدالقادر ملا قلندر  
الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- ١٦ - عبدالقدوس الأنصارى  
آثار المدينة المنورة، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ١٧ - عصام الدين عبدالرؤوف، دكتور  
في بلاد الجزيرة، القاهرة، الأولى،
- ١٨ - عطية القوصى، دكتور  
تجار مصر في البحر الأحمر منذ فجر التاريخ الإسلامى حتى سقوط  
بغداد، رسالة دكتوراه لم تطبع، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- ١٩ - على حافظ :  
فصول من تاريخ المدينة، جدة، ١٩٦٩ م.
- ٢٠ - على بن حسنين السليمان :  
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة،  
١٩٧٣ م.
- ٢١ - محمد أبوزهرة :  
أبوحنيفة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- ٢٢ - محمد أنور شكرى، دكتور  
لوحات أثرية، مطابع مكة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.
- ٢٣ - محمد جمال الدين سرور، دكتور  
قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم،  
القاهرة،

- ٢٤ - .....  
 سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة، ١٩٧٣م.  
 ٢٥ - محمد لبيب البتنوني  
 الرحلة الحجازية، القاهرة، ١٣٢٧هـ / ١٩٢٩م.  
 ٢٦ - محمود طه أبو العلا، دكتور  
 جغرافية الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.  
 ٢٧ - ناجي معروف، دكتور  
 المدارس الشراعية، ببغداد فواسط ومكة، ببغداد، ١٩٦٥م.  
 ٢٨ - يوسف أحمد ،  
 المحمل والحج ، القاهرة، ١٣٥٦هـ .

#### خامسا: الدوريات العلمية والمجلات :

- ١ - مجلة الفيصل، العدد الأول، عام ١٣٩٧هـ ، رجب.
- ٢ - مجلة مصلحة الآثار العامة في المملكة العربية السعودية، ١٣٩٧هـ .
- ٣ - مجلة رابطة العالم الإسلامي
- ٤ - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٦٨م  
 - أحمد دراج، دكتور  
 مقال ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر.
- ٥ - مجلة نهضة افريقيا:  
 - أحمد دراج ، دكتور  
 مقال عيذاب
- ٦ - مجلة العربي، مايو ١٩٧٨م، العدد ٢٣٤:  
 - مصطفى نبيل  
 مواقع التاريخ تحت الرمال.
- ٧ - مفكرة مكة المكرمة لعام ١٣٩٧هـ ، مكتبة المرزا بمكة.

- 1 - Geukens, F: Contribution. a la Geologie de yemen. Memoires d l'Institut Geologique de L'Universite de Lourain, 1960.
- 2 - Powers, R.W. and others: Geology of the Arabian Peninsula. (Sedimentary Geology of Saudi Arabia). 1966.
- 3 - Woolley, L. Abraham - Recent Discoveries and Hebrew origins, Faber, 1936.
- 4 - De Gaury, G: Rulers of Mecca, 1948.
- 5 - Caussin De Perceval, A.P: Essai sur l'histoire des Arabes, 1847.
- 6 - Geoogical Times, British Museum, 1972.
- 7 - Italconsult, 1972.



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
تقديم	٧
المقدمة	٩
أهم المصادر والمراجع	١٥
<u>الفصل الأول : مكة والمدينة قبل ظهور الإسلام</u>	٢١
<u>أولا : مكة المكرمة</u>	٢٣
نبذة جغرافية	٢٣
نبذة تاريخية	٢٧
سلطة قريش وتنظيمات قصي بن كلاب	٣١
<u>ثانيا : المدينة المنورة</u>	٤١
نبذة جغرافية	٤١
النشاط الاقتصادي لأهل المدينة المنورة	٤٢
التجارة الداخلية والخارجية وطرق القوافل	٤٨
<u>الفصل الثاني : خدمات الحجاج ومرافق الحج في مكة المكرمة</u>	٥٣
توفير المياه في مكة المكرمة	٥٥
السيول وآثارها في مكة	٦٧
توفير الطعام في مكة المكرمة	٧٢

٧٦	..... توفير السكن في مكة المكرمة
٨٤	..... المدارس في مكة ودورها في إسكان الحجاج
٨٩	<u>الفصل الثالث: خدمات الحجاج ومرافق الحج في أمكنة المشاعر</u>
٩١	..... توفير الإقامة وتأمين الطعام للحجاج في المشاعر
٩٥	..... توفير المياه في مشاعر الحج
١٠١	..... اعطيات الخلفاء لولاية مكة المكرمة
١٢٣	<u>الفصل الرابع: خدمات الحجاج في المدينة المنورة</u>
١٢٥	..... الطريق من مكة إلى المدينة وتوفير المياه للحجاج
١٢٨	..... توفير المياه في المدينة المنورة
١٣٨	..... توفير الأطعمة للحجاج في المدينة المنورة
١٤١	..... توفير السكن في المدينة المنورة في فترة الزيارة
١٤٨	..... أمكنة الزيارة وما قدم فيها من خدمات
١٥٤	..... أعطيات الخلفاء لولاية المدينة
١٦٣	..... قوائم المصادر والمراجع









